



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة عباس لغرور .خنشلة.



كلية: الآداب واللغات  
قسم: اللغة والأدب العربي  
شعبة: اللغة والأدب العربي  
التخصص: أدب قديم

# بلاغة التشبيه في خطب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

بحث مقدم لقسم اللغة والأدب العربي لاستكمال مواد شهادة ماستر 2

إشراف الأستاذة  
طبيش حنيئة

إعداد الطالبة :  
مهداوي نور الهدى

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
مقلاتي فريدة	أستاذ محاضر -أ-	جامعة عباس لغرور خنشلة	رئيسا
طبيش حنيئة	أستاذ محاضر -ب-	جامعة عباس لغرور خنشلة	مشرفا ومقرا
مزيتي خميسة	أستاذ مساعد -أ-	جامعة عباس لغرور خنشلة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2018/2017

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾

# شكر وعرfan

الشكر لله الذي وفقنا وأعانا

والحمد لله الذي يسر لنا أمورنا

سبحانه نعم المرشد والمعين

فبعد أن أتممت مذكرتي، أتيت على

جزئيات البحث التي قدمتها في بدايته

وهذا أتوجه بالشكر إلى الله تعالى أولا

وإلى كل من أفادني بالعلم حرفا ثانيا

وإلى كل من قصده فإعاني ثالثا

وإلى من ذكره القلب ولم يكتبه القلم

دعاء من القلب بأن يجزيهم الله خيرا

كما أتقدم بخالص شكري وفائق احترامي لأستاذتي الفاضلة

"حنينة طبيش" على حسن التوجيه والنصح والثقة

كما أتقدم أيضا بالشكر لكل أساتذة كلية الآداب واللغات

بجامعة عباس لغرور خنشلة على كل الجهود التي بذلوها طوال خمس سنوات

شكرا لكل من منحني وقته ونصائحه

... شكرا...

فجر من العاصيات

واجهة المذكرة  
بسملة  
شكر وعرfan  
فهرس المحتويات

أ

مقدمة.

مدخل: التشبيه (المفهوم والأنواع)

- 02 1. مفهوم التشبيه.
- 02 أ. لغة.
- 03 ب. اصطلاحا.
- 04 2. أنواع التشبيه.
- 05 أ. التشبيه المفرد.
- 06 ب. التشبيه المركب.
- 07 3. جماليات التشبيه.

الفصل الأول: فن الخطابة.

- 11 1. المفهوم.
- 11 أ. لغة.
- 12 ب. اصطلاحا.
- 13 2. تطور الخطابة العربية.
- 14 أ. الخطابة في العصر الجاهلي.
- 16 ب. الخطابة عند ظهور الإسلام.
- 19 ج. الخطابة في العصر الأموي.
- 21 د. الخطابة في العصر العباسي.
- 25 3. الرواد.
- 25 أ. العصر الجاهلي.
- 27 ب. عصر صدر الإسلام.

34 .....ج.العصر الأموي.

37 .....د.العصر العباسي.

## الفصل الثاني: بلاغة التشبيه في خطب علي رضي الله عنه.

43 .....1.التشبيه المركب.

43 .....أ.التشبيه الضمني.

45 .....ب.التشبيه التمثيلي.

52 .....ج.التشبيه المقلوب.

53 .....2.التشبيه المفرد.

53 .....أ.التشبيه المجمل.

54 .....ب.البليغ.

56 .....ج.التشبيه المرسل.

57 .....د.المفصل.

59 .....خاتمة

ملحق  
قائمة المصادر والمراجع  
ملخص

مفلمه

## مقدمة:

نشأت الخطابة العربية في العصر الجاهلي، وما فتئت أن أصبحت فنا ذا شأن كبير مع مجيء الإسلام، لما تتوفر عليه من غرض شريف وأسلوب فصيح، يتميز بقوة العبارة وجزالة اللفظ، وإقامة الحجة.

ومنه فقد ساهم ظهور الإسلام في تغير مسار الخطابة العربية، فتغيرت المواضيع، واستبدلت كلمات الجاهلية، ومعانيها بمفردات إسلامية مستمدة من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، فكانت الأولى تدعو إلى العصبية القبلية؟، وكانت الثانية تدعو إلى التوحيد والإيمان بالله عزّ وجلّ، فجاءت الخطابة تعكس أوضاع المجتمع الإسلامي في دينه ودنياه.

فكانت الخطابة موضوعا للعديد من الباحثين الذين استلهموا منها، أما التي كانت سببا في دراستي هي دراسة محمد احميد الخطاب الإسلامي عند الخلفاء الراشدين، فاخترت أحد الخلفاء الراشدين فكان عليا بن أبي طالب -رضي الله عنه- الذي لا ينافس في البلاغة والفصاحة.

أما الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع هي ذاتية وتمثلت في إعجابي بخطب علي-رضي الله عنه- والجمالية التعبيرية الموجودة فيها، ورغبة في البحث ببلاغته، وتذوق جماليته.

وأما الموضوعية فهي الوصول إلى الجمالية التشبيهية الموجودة في خطب علي - رضي الله عنه-.

إن عليا -رضي الله عنه- قدم لنا مادة أدبية بيانية تدفع الكثير من الباحثين الخوض في غمار بيانه ودراسة بلاغته، أما دراستي فخصصتها لدراسة بلاغة التشبيه في خطب علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- تمثلت إشكاليته في:

إلى أي مدى ساهمت بلاغة التشبيه في تشكيل الإطار العام لخطب علي -رضي الله عنه-، وكيف ساهمت الجمالية الموجودة بخطبه في تشكيل الدلالة العامة لها؟

أما المنهج المعتمد في الدراسة كان منهجا بلاغيا فنيا واستعنت بالتاريخي في الجانب النظري، فقد تعاملت في دراستي مع ظاهرة بلاغية محضة وهي التشبيه، وحللتها وشرحتها وبينت أثرها الجمالي في السياق.

قسمت بحثي هذا إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: تمثل في مدخل شمل التعريف بالتشبيه وأنواعه وجماليته.

القسم الثاني: كان فصلا نظريا انحصر في مفهوم الخطابة وتطورها في مختلف العصور بداية بالجاهلي وأهم أعلامها.

أما القسم الثالث: فكان فصلا تطبيقيا عملت فيه على استخراج التشبيه وشرحها شرحا مفصلا في إطار سياقها مبينة بلاغته وجماليته.

واستهللت دراستي بمقدمة وأنهيته بخاتمة احتوت أهم النقاط التي خرجت بها منها، وألحقها بملحق ذكرت فيه نسب علي -رضي الله عنه- ونبذة عن حياته.

ساعدتني جملة من المصادر والمراجع في تحديد أطر البحث وكشف الغامض منها والاعتماد عليها، أذكر منها: في البلاغة العربية لعبد العزيز عتيق، معجم مصطلحات النقد العربي القديم لأحمد مطلوب، الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، لسان العرب لابن منظور، تلخيص الخطابة لأبي الوليد بن رشد، الخطابة عند العرب لعهد

الخضر حسين، وأهم مصدر الذي كان أساس دراستي هو كتاب نهج البلاغة للشريف الرضي الذي جمع فيه خطب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وغيرها من المصادر والمراجع ...

وفي الختام لا يسعني إلا أن أشكر الله عز وجلّ الذي أعانني على إتمام رسالة التخرج فالحمد له كثيرا، وأخص بالشكر أستاذتي الفاضلة "طبيش حنينة" التي كانت الموجه والمصوب لي فلها جزيل شكري، والله ولي التوفيق وهو المستعان.

مفضل

## 1. مفهوم التشبيه:

## أ. لغة:

تعددت التعريفات الواردة في الكتب والمعاجم لكلمة "تشبيه" وقد وقفنا عند بعض التعريفات فقط لأجل التوضيح، ونذكر ما تم إيرادها في لسان العرب، في فصل الشين المعجمة: "شَبَّه: الشَّبَهُ والشَّبَهُ والشَّبِيه: المِثْل، والجمع أشباه، وأشبه الشيء الشيء: ماثله، وفي المثل: مَنْ أَشَبَّهُ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ، وأشبه الرجل أمه: وذلك إذا عجز وضعف"<sup>1</sup>.

وقد عرفه الدكتور عبد العزيز عتيق، فقال: "هو التمثيل، وهو مصدر مشتق من الفعل شَبَّه بتضعيف الباء، يقال: شبهت هذا بهذا تشبيها، أي مثَّلت به"<sup>2</sup>.

وقد ورد في الذكر الحكيم في عدة مواضع نذكر قوله تعالى: [قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا] [البقرة، 285]، وقال أيضا: [مِثْلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمِثْلِ حَبَّةِ أَنْبَتٍ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ] [البقرة، 261].

وقال أيضا: [مِثْلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا الثَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمِثْلِ الْحِمَارِ يَحْمَلُ أَسْفَارًا] [الجمعة: 5]، فنلاحظ هنا أنه قد استخدم التشبيه لإشراك شيئين في صفة واحدة أو عدة صفات، أما معجم مصطلحات النقد العربي القديم عرفه: "الشَّبه والتشبيه: المِثْل، وأشبه الشيء: ماثله،

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مج 13، دت، د ط، ص: 503.

<sup>2</sup> عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، د ط، 1985، ص: 61.

وأشبهتُ فلانًا وشابهتُهُ، وأشْتَبَهَ عليَّ، وتَشَابَهَ الشيطانُ واشْتَبَهَا: أشبه كلُّ واحد منهما صاحبه<sup>1</sup>.

ومن خلال جملة هذه التعريفات نخلص أن حدَّ التشبيه اللغوي هو: التمثيل، ومشاركة أمر لآخر في صفة أو عدّة صفات.

### ب. اصطلاحاً:

حدّد البلاغيون والمهتمون بهذا المجال، العديد من التعريفات الاصطلاحية لمفهوم التشبيه، نذكر منها ماورد في كتاب الإيضاح في علوم البلاغة أن التشبيه هو: "الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى..... وأن تعقيب المعاني به، يضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها مدحًا كانت أم ذمًا أو افتخارًا، أو غير ذلك"<sup>2</sup>.

ومن خلال ما سبق نخلص أن التشبيه هو ما يوضح المعنى ويبينه من خلال إشراك شئيين في صفة ما أو معنى ما.

وقد وافق هذا التعريف ما جاء به كتاب علوم البلاغة فهو: "بيان أن شيئاً أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر بإحدى أدوات التشبيه المذكورة أو المقدرّة المفهومة من سياق الكلام"<sup>3</sup>.

وفي الكتاب نفسه استطرد صاحب الكتاب معرفاً إياه تعريفاً جامعاً هو: "صورة تقوم على تمثيل شيء حسي أو مجرد لإشراكهما في صفة حسية أو مجردة أو أكثر"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي القديم، مكتبة لبنان ناشرون ، ط1، 2001م، ص:158 .

<sup>2</sup> الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م، ص:164.

<sup>3</sup> محمد أحمد قاسم ومحي الدين ديب، علوم البلاغة، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ط1، 2003م، ص:143.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص:143.

وهذه التعريفات إذا دلت على شيء فهي تدل على أن المتشابهين ليسا متطابقين في كل شيء وإنما يشتركان في أشياء ويختلفان في أخرى، ويذهب قدامة بن جعفر مذهب القزويني الذي يرى بان التشبيه: "إنما يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معان تعمها، ويوصفان بها واقتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما عن صاحبه بصفتها"<sup>1</sup>.

فطرفا التشبيه يتفقان في صفة ويشتركان فيها، ويختلفان في أخرى فيختلفان، وبذلك لا يكونان متطابقان، وإنما يتقاطعان في صفة أو أكثر، وقد تكون الصفة إما حسية وإما عقلية، وقد لا ينفردان بصفة واحدة، بل في عدة صفات تجمع بينهما.

## 2. أنواع التشبيه:

قبل أن نعرض إلى أنواع التشبيه لابد لنا من تبيان أركانه، وشرحها، فلتشبيه أربعة أركان هي: المشبّه، والمشبّه به، أداة التشبيه، ووجه الشبه، وهذا ما جمعه عبد العزيز عتيق في كتابه علم البيان فيقول: "التشبيه هو بيان أن شيئا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر، بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو مقدرة، تقرب بين المشبه والمشبّه به في وجه الشبه"<sup>2</sup>.

أما عن أنواعه:

ينقسم التشبيه لنوعين أساسيين هما التشبيه المفرد، وهو تشبيه شيء معين بشيء آخر، والتشبيه المركب، وهو تشبيه حالة أو صورة معينة بحالة أو صورة أخرى.

<sup>1</sup> المصدر السابق، ص: 143.

<sup>4</sup> عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، ص: 49.

## أ. التشبيه المفرد:

وهو ما لم يكن مركباً وغير متعدد، ينقسم التشبيه عند وصف شيء معين بشيء آخر إلى عدة أنواع تبعاً لوجود أركانه من عدمها، وهي:

## \* التشبيه التام:

وهو التشبيه الذي يشتمل على جميع أركان التشبيه، مثال: باسم حادّ النَّظَرِ كالصقرِ، أو سليمٌ سريعٌ كالفهدِ، أو شَعْرُهَا كالليلِ في سوادهِ.

## \* التشبيه المؤكد:

هو التشبيه الذي غابت عنه أدواته، مثل: باسمٌ فهدٌ في السرعةِ.

## \* التشبيه المجمل:

هو التشبيه الذي غاب عنه وجه الشبه، فغيابه يجعل المتكلم في الجمع بين الطرفين فسمي مجملاً، ويقول ابن الرومي: "فَكَأَنَّ لِدَّةَ صَوْتِهِ وَدَبِيبَهَا سُنَّةٌ تَمْشِي فِي مَفَاصِلِ نُعَسٍ"، وجه الشبه محذوف، فهو يدرك بسرعة، وهو التلذذ والارتياح .

## \* التشبيه البليغ:

هو التشبيه الذي غاب عنه وجه الشبه وأدواته، مثل العلم نور، أو قفز معاذ قفزة حصان، وهو أعلى التشابيه مبالغة وبلاغة، في آن، ويأتي على صور متعددة، تبعاً لموقع المشبه به من الإعراب.

## \*التشبيه المرسل:

كما يطلق على التشبيه الذي يحتوي أداة التشبيه تشبيهاً مرسلًا،  
مثل:

"إِنَّمَا الدُّنْيَا كَبَيْتٍ \* نَسْجُهُ مِنْ عَنَكُبُوتٍ"، هنا حضرت الأداة،  
وحضورها يبقى على البعد والفضاء الفاصل بين الطرفين في تصنيف  
الموجودات.

## \*التشبيه المفصل:

والتشبيه الذي يبيّن وجه الشبه تشبيهاً مفصلاً، مثل:

"أَنَا كَالْمَاءِ إِنْ رَضِيْتُ صَفَاءً \* وَإِذَا مَا سَخَطْتُ كُنْتُ لَهِيًّا"،  
فوجه الشبه مذكور وهو الصفاء واللهيب<sup>1</sup>.

## ب\_التشبيه المركب:

في هذا النوع من التشبيه يتم تشبيه صورة بصورة أخرى، وهو ما  
كان طرفاه كثيرة ومجتمعة، وينقسم إلى:

## \*التشبيه التمثيلي:

وهو وصف حالة أو هيئة بحالة أو هيئة أخرى، مثل قوله تعالى:  
[مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ  
سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ][البقرة: 261]، وفي الآية شبه الله أجر  
من صدّق في سبيل الله بأمواله، كالسنبلّة الواحدة التي تنبت حبات  
عديدة، ووجه الشبه هو المضاعفة.

<sup>1</sup> ينظر: محمد أحمد قاسم ومحي الدين ديب، علوم البلاغة، ص: 153 .

## \*التشبيه الضمني:

وهو التشبيه الذي يصف حالة دون ذكر أداة التشبيه، بل يترك كلمات تدل عليها كقول الشاعر: مَنْ يَهْنُ يَسْهُلُ الْهَوَانُ عَلَيْهِ مَا لِحُزْحٍ بِمَيِّتٍ إِيْلَامٍ، فالتشبيه الضمني غير ظاهر في الكلام، ومضمر ويجب على المتلقي فهمه من السياق، وفيه لا تظهر الأداة أو وجه الشبه بشكل صريح.

## \*التشبيه المقلوب:

وهو نوع في المديح والوصف، وهو أن يتم قلب المشبه بالمشبه به، فيشبهه الأقل بالأكثر كقول الشاعر: وَبَدَا الصَّبَاحُ كَأَنَّ غُرَّتَهُ الْخَالِفَةُ حِينَ يُمْتَدِّحُ<sup>1</sup>.

## ج.جماليات التشبيه:

أخذ التشبيه حيزا كبيرا في كلام العرب "ولا غرابة أن نؤكد أن الوعي البلاغي العربي هو وعي تشبيهي"<sup>2</sup>، أي أن فصاحة الشاعر أو المخاطب تكمن في مدى قدرته على تشكيل الصور التشبيهية، وهذا ما يؤكد المبرد بقوله: "إن التشبيه أكثر كلام العرب"<sup>3</sup>، فكلما كان الاستدلال الموجود في التشبيه محكما وكانت المعرفة التي يقدمها دقيقة

<sup>1</sup> ينظر: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 187 .

<sup>2</sup> خلدون سعيد صبح، البنية الجمالية للتشبيه في معلقة امرئ القيس، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج 84، ج2، ص: 447.

<sup>3</sup> أبو العباس المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وسيد شحاتة، دار النهضة، مصر، القاهرة، ط2، ص: 98.

مضبوطة وجاءت على غير العادة كانت أكثر جمالية، ومن هنا قيل أن التشبيه "أشرف كلام العرب"<sup>1</sup>.

وقد حدّد أبو هلال العسكري القيمة الجماليّة للتشبيه بأربعة أوجه في كتابه الصناعتين وهي: "إخراج ما لا تقع عليه الحاسة على ما تقع عليه، وإخراج ما لم تجرّيه العادة إلى ما جرت عليه، وإخراج ما لا يعرف بالبديهة العقلية إلى ما يعرف بها عن طريق التمثيل، وإخراج ما لا قوة له في صفة على ماله قوة فيها"<sup>2</sup>.

ويكمن جمال التشبيه في ذلك التناغم الذي يشكّله ترابط الأطراف المتباينة وإتلافها فيما بينها، فقد ربط الجرجاني صنعة التشبيه بجودة القريحة وبوعي المخاطب الجمالي عندما قال عن صنعة التشبيه أنها: "تستدعي جودة القريحة والحدق الذي يلطف ويدق في أن يجمع أعناق المتنافرات المتباينات في ريقه، ويعقد بين الأجنيبات..."<sup>3</sup>.

فجمالية التشبيه تكمن في وظائفه وأغراضه الفنية التي يقدمها، وتتجسد كذلك في قدرته على الوصول إلى مراد المتكلم وإيصال الفكرة، وبلوغ الهدف المرجو منه.

ولقد بين ابن خلف في حديثه عن بلاغة التشبيه بأنها تظهر في قدرته على الإيضاح ومدى البيان الذي يقدمه فقال: "إنّ بلاغة التشبيه هي الجمع بين الشئيين بمعنى يكسب أحدهما بالآخر"<sup>4</sup>، كقوله تعالى:

<sup>1</sup> خلدون سعيد صبح، البنية الجمالية للتشبيه في معلقة امرئ القيس، ص: 447 .

<sup>2</sup> أبو هلال العسكري، الصناعتين تح: محمد الجاوي ومحمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، دط، 1952، ص: 240، 242.

<sup>3</sup> عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، صحّحه وعلّق عليه: محمد رشيد رضا، دار المطبوعات العربية، بيروت، دط، ص: 15.

<sup>4</sup> مهندس محسن عبد الرضا العقابي، رسالة ماجستير: الجهود البلاغية لعلي بن خلف الكاتب المتوفي ما بعد 437هـ في كتابه مواد البيان، إشراف: حسن يحي محمد رضا الخفاجي، جامعة المستنصرية، 2003م، ص: 58 .

[وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفَّيْنِهِ إِلَى  
الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ]. [الرعد 14]

فقد انتقنا في الحاجة والحسرة للوصول إلى المراد، وكقوله تعالى:  
[خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ]. [الرحمن 14]، فقد اجتمعا في  
الوصف بالخفاف والرخاوة<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: المرجع السابق، ص: 59 .

الفصل الأول

## 1. المفهوم:

## أ. لغة:

عرفت كلمة الخطابة الكثير من التعريفات اللغوية، أهمها ما تم تحديده في معجم لسان العرب في فصل الخاء المعجمة: "الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان، والخطبة مصدر الخطيب، وخطب الخاطب على المنبر، واخطب يخطب خطبةً، واسم الكلام: الخطبة، قال أبو منصور: والذي قال الليث، إن الخطبة مصدر الخطيب، لا يجوز إلا على وجه واحد، وهو أن الخطبة اسم للكلام، الذي يتكلم به الخطيب، فيوضع موضع المصدر، الجوهري: خطبت على المنبر خطبةً، بالضم"<sup>1</sup>.

قال الفيروز أبادي في القاموس المحيط، مادة خطب: "وخطب الخاطب على المنبر خطابة، بالفتح، وخطبة بالضم، وذلك الكلام: خطبة أيضا، أوهي: الكلام المنثور المسجع ونحوه، ورجل خطيب حسن الخطبة بالضم"<sup>2</sup>.

وفي كتاب البرهان في وجود البيان جاء تعريف آخر لها هي: "مأخوذة من خطبت أخطب خطابة، كما يقال: كتبت أكتب كتابة، واشتق ذلك من الخطب وهو الأمر الجليل، لأنه إنما يقام بالخطب في الأمور التي تجل وتعظم"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، ص: 361.

<sup>2</sup> الفيروز أبادي، قاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط8، 2005م، ص: 450.

<sup>3</sup> ابن وهب الكاتب، البرهان في وجود البيان، تحقق: جفنى محمد شرف، مكتبة الشباب مطبعة الرسالة، دط، ص: 192.

من خلال التعريفات السابق ذكرها، نصل إلى أن الخطابة في مفهومها اللغوي هي: الكلام المنثور الذي ينطق به الخطيب، وهي كذلك الأمر الجلي والعظيم لأنها لا تقام إلا في الأمور اللازمة والعظيمة أمرها.

### ب. اصطلاحاً:

عرج الكثير من أهل الأدب إلى مفهوم الخطابة الاصطلاحي وحاولوا تحديد مفهوم شامل له، قال ابن رشد: "الخطابة: قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة"<sup>1</sup>. وقد ركّز ابن سينا في مفهومه للخطابة على المهارة التي يجب على الخطيب امتلاكها، وهي الإقناع، فهي عنده لا تقوم دون القدرة على الاستمالة والإقناع بما يقال في نص الخطبة.

أما الجرجاني فقال: "الخطابة: وهو قياس مركب من مقدمات مقبولة أو مظنونة من شخص معتقد فيه، والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم كما يفعل الخُطباء والوعّاظ"<sup>2</sup>. جاء الجرجاني بمفهوم أشمل، فحدّد صفة الخطيب وأوضح أن الخطيب يكون شخصاً ذا مكانة وصاحب علم، والخطبة عنده هي كلام مكون من جملة من الأفكار والمعتقدات قد تكون مقبولة من السامعين أو تكون عكس ذلك، وبين أن الهدف منها هو دعوة الناس لما يُصلح حالهم وأمرهم، ووصف قائلي الخطب بالخطباء والوعّاظ.

<sup>1</sup> أبو الوليد بن رشد، تلخيص الخطابة، تحق: عبد الرحمن بدوي، مطبعة الكويت، ط1، 1959م، ص: 28.

<sup>2</sup> الجرجاني، التعريفات، تحق: محمد الصديق المشاوي، دار الفضيلة، دط، دت، ص: 104.

أما محمد الطاهر بن عاشور فقال عنها أنها: "كلام يحاول به المتكلم إقناع أصناف السامعين بصحته، لغرض فعله أو الإثقال به"<sup>1</sup>، وهذا كان أشمل التعريفات وأوضحها فذكر أهم ما تتميز به الخطابة وأهم الشروط التي تكون في الخطيب، فلم ينظر إليها من زاوية واحدة فقط بل من عدة زوايا.

وعرّفت كذلك على أنها: "فن من فنون التواصل الشفهي، في مخاطبة الجماهير، واستمالتهم إلى المبادئ التي يدعو إليها الخطيب"<sup>2</sup>.

فالخطابة هي كلام يلقي على مسامع الناس، باستخدام الحجج، والأدلة، والبراهين، بغية إقناعهم بمعتقدات ما وأفكار ما، يرى الخطيب أنها في صالحهم، ويمكن أن تفيدهم في أمور معاشهم.

## 2. تطور الخطابة العربية:

شهدت الخطابة العربية على مدى الأزمنة تطورا وتغيرا، فكانت عادة ما تواكب التطور -خاصة الفكري منه- كيف لا؟، وهو سبب كل التغيرات الحاصلة في كل المجالات، فالأحداث الحاصلة مع العرب أثرت على الحياة الفكرية الأدبية، وبذلك أثر على فن الخطابة، الذي كان ملازما للفنون التي عهدتها العرب وعرفتھا منذ فترة ما قبل الإسلام، والتي كانت مظهرا من مظاهر الإبداع وسببا من أسباب ازدهارها.

<sup>1</sup> محمد الطاهر بن عاشور، أصول الإنشاء في الخطابة، تحقق: ياسر بن حامد المطيري، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1434هـ، ص: 118.

<sup>2</sup> محمد احميد، الخطاب الإسلامي عند الخلفاء الراشدين، جامعة عبد الملك السعدي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، ص: 6.

فقد تميز العرب ببلاغة لا مثيل لها وطلاقة لسان استثنائية، يقول جابر بن حيان: "نزلت الحكمة على رؤوس الروم وألسن العرب وقلوب الفرس..."<sup>1</sup>، وهذا دليل على أن العرب أهل حكمة وفصاحة، مما مكنهم من الإبداع دون تصنع وتكلف في الفنون الأدبية من بينها الخطابة على مر العصور بداية بعصر ما قبل الإسلام.

### أ. الخطابة في العصر الجاهلي:

عرف العرب في الجاهلية العديد من الخطب الأدبية، لكن في مقابل ذلك كان الشاعر لديهم أعلى مرتبة من الخطيب، متحججين أن الشعر أبقى في الأذهان، وأسرع انتشارا من النثر.

وتقديم العرب للشاعر على الكاتب، سببه قلة ما وصل إلينا من خطبهم في الجاهلية، أما الخطب التي يمكن لها أن تظهر لنا صورة الخطابة في ذلك العهد، هي تلك الخطب التي توجد في كتب الأدب والتاريخ، والتمعن في هذه الخطب يجعلنا متأكدين أن الخطابة قبل الإسلام، كانت ذات منزلة مناسبة لأمة هي إلى البداوة أقرب منها إلى الحضارة، ولكنها كانت تملك حسن تصرف في فنون البيان، وهذه الخطب تمثل لنا الخطابة في العصر الجاهلي، سواء أكانت وصلت إلينا كاملة أم وصلت بقية منها إلى أيدي الرواة، فزاد إليها بعضهم جملا تتناسب وأسلوبها<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> ديل كارينجي، فن الخطابة، الوسام للخدمات المطبعية، عمان، ط1، 2001، ص: 9.

<sup>2</sup> ينظر: محمد الخضر حسين، الخطابة عند العرب، تحقق: ياسر بن حامد، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط7، 1434هـ، ص: 183، 182.

ولاشك أن العرب قبل الإسلام تفوقوا في الخطابة، فهي نتيجة انفعالات جاءت من حوادث مست الجماعات، فالعرب كانوا معروفين بالتفاخر وتمجيد الآباء والعشيرة والقبيلة، وحب السيادة، وعدم الظلم، وحماية الجار، وكل هذه العوامل أدت إلى نشوب الجدل والنقاشات الشديدة الدائمة فيما بينهم، ولذلك كانت الحروب عندهم دائمة لا تكاد تنقطع، ولهم مجالس ومجامع يلقون فيها ما صنعت قرائحهم، ليتباهوا ويتفاخروا ببطولاتهم، وأبطالهم، وأمجادهم، وكل ما يخصهم، مستخدمين البلاغة والحكمة، ولا يوجد ما يمنع أن يكون بين العرب، خطيب يدق الأسماع بذكر مفاخرهم، ويكون لهم لسانا حكيما، بليغا، يدافع عن أعراضهم، وأنفسهم، وأموالهم، فيصبح فارسهم، إذا كان يملك قوة الجدل، وصلابة في المحاوره، وأسواقا بضاعتها نتاج لقرائحه<sup>1</sup>.

ويؤكد الجاحظ أن الخطابة ازدهرت في العصر الجاهلي وبيّن لنا سبب ذلك فيقول: "...وازدهرت الخطابة في العصر الجاهلي، لأنهم عاشوا طلقاء في جزيرتهم، لا يحد من قريحتهم حاكم ولا ناظم..."<sup>2</sup>.

ويبرز لنا أيضا مقدرة العرب في الفصاحة والارتجال فيقول: "وكل شيء للعرب فإنما بديهة وارتجال وكأنما الهام... وكانوا أميين لا يكتبون، ومطبوعين لا يتكلمون، وكان الكلام الجيد عندهم اظهر وأكثر، وهم عليه أقدر وأقهر، وكل واحد في نفسه أنطق، ومكانه في البيان ارفع، وخطبائهم أوجز والكلام عليهم أسهل، وهم عليه أيسر من أن

<sup>1</sup> ينظر: المصدر السابق، ص: 183.

<sup>2</sup> دليل كارينجي، فن الخطابة، ص: 8.

يفتقروا إلى التحفظ أو يحتاجون إلى تدارس، وهم ليس كمن حفظ علم غيره واحتذى على كلام من كان قبله...<sup>1</sup>.

وهذا الكلام إذا دلَّ على شيء، فإنما يدل على أن العرب أصحاب الفصاحة ومالكوها الأصليون لا يتصنعون ولا يتكلفون بل كل كلامهم بديهية وسليقة، ولم يأخذوا عن غيرهم.

### ب. الخطابة عند ظهور الإسلام:

جاء الإسلام بثورة فكرية واجتماعية وسياسية واقتصادية، انعكست بالإيجاب على فن الخطابة، فازدهرت لحاجة الإسلام لها، واعتبارها الوسيلة الأنجع لإيصال ما أتى به الدين الجديد من قيم ومبادئ ليستطيع إقناع الناس بها وإدخالها إلى قلوبهم وعقولهم.<sup>2</sup>

ويؤكد ما سبق، قول أبي هلال العسكري: "...والخطابة لها الحظ الأوفر من أمور الدين، لأن الخطبة شطر الصلاة، التي هي عماد الدين في الأعياد والجمعات والجماعات، وتشتمل على ذكر المواعظ التي يجب أن يتعهد بها الإمام رعيته لئلا تُدرس في قلوبهم آثار ما أنزل الله - عزَّ وجلَّ - من ذلك في كتابه إلى غير ذلك من منافع الخطب"<sup>3</sup>.

فكيف للخطابة أن لا تزدهر، وهي جزء من أعظم شعائر الإسلام: الصلاة، ففي صلاة العيد وجبت، وفي صلاة الجمعة هي لازمة أيضاً،

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص: 8.

<sup>2</sup> ينظر: حسين عبد العالي اللهيبي، الخطابة العربية في العصر العباسي الأول، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العددان: 3\_ 4، مج: 8، 2007م، ص: 93.

<sup>3</sup> أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص: 136.

وهي الأداة التي تلقي الموعظة الحسنة في النفوس وتصلح من عقولهم وتثبت قلوبهم على الإيمان، وتذكرهم بما أتى به الإسلام لكي لا يخرجوا عن طريقه.

وقد كبر نشاط الخطابة مع ظهور الإسلام، فأصبح دين الخطابة بامتياز، ورغم أن للخطابة تاريخاً طويلاً، إلا أن مضمونها وموضوعها ومناسباتها تغير مع إرساء القيم الجديدة، فأصبحت ذات طابع أخلاقي وتربوي، وكلّ له كان غائباً في الخطابة الجاهلية، وهذا كان كافياً لتبديل وجهة الخطابة، من الدعوة القبلية إلى دعوة أخلاقية تربوية بامتياز<sup>1</sup>.

وأول من خطب في الإسلام هو النبي محمد -ﷺ- ينهى المشركين عن عبادة الأوثان والأصنام، ويدعوهم إلى عبادة الله الواحد، يقول إلبا حاوي: "فالنبي يتوسل الخطابة للإقناع، والتبشير، والوعظ، ويؤم عليها الناس في الجمع، ومجالس الرأي، وفي الحشود، وقد أثبتت لنا الأصول القديمة، خطبا له في دعوة بني قومه إلى الإيمان برسالته، ويوم فتح مكة، وخطبة في المدينة، وفي حجة الوداع، وخطبا أخرى في أحوال متباينة"<sup>2</sup>. فكان حديثه -ﷺ- نقياً بليغاً فصيحاً يحفظ في الصدور، يقول شوقي ضيف: "...وأما الرسول فكان حديثه يذيع على كل لسان، وكانت خطبه ملء الصدور والقلوب"<sup>3</sup>.

فلو لم تكن خطب الرسول -صلى الله عليه وسلم- مؤثرة على القلوب، بدرجة تفوق كلام العرب بلاغة، وحكمة، ما حفظتها الصدور وما تداولتها الألسن فيما بينها، اعتباراً منها وأخذاً بالتعاليم التي جاءت

<sup>1</sup> ينظر: محمد احمد الخطاب الإسلامي عند الخلفاء الراشدين، ص: 17.

<sup>2</sup> نقلاً عن: المصدر نفسه، ص: 16.

<sup>3</sup> شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، دت، ط9، ص: 13.

بها، وأخذ العرب يُولون الخطابة اهتماماً أكبر من ذي قبل، خاصة بعد ما نهج القرآن الكريم، ورسول الله -ﷺ- طرقاً للفصاحة والبلاغة، وأصبحوا يعتنون باللفظ وحسن استعمال دلالاته يقول شوقي ضيف: "وربما كان مما يدلُّ على شيوع دقّة الحسن حينئذ، ما يروى عن أبي بكر من أنه عرض لرجل معه ثوب، فقال له: أتبيع الثوب؟ فأجابه: لا، عافاك الله، وتأذى أبو بكر مما يوهمه ظاهر اللفظ، إذ قد يظن أن النفي مسلط على الدعاء، فقال له: لقد علمتم، لو كنتم تعلمون، قل: لا وعافاك الله"<sup>1</sup>.

ومن بين الأسباب التي ساعدت على ازدهار فن الخطابة، هو الصراع الذي خلقه المتمسكون بالقديم، فأصبح هناك تسابق بينهما، نحو الخطابة الأكثر تأثيراً في النفوس والعقول، وهذا التسابق كان في مواضيع الخطابة، ومضمونها، وأسلوبها، جاء في كتاب فن الخطابة لديل كارينجي: "...وجاء الإسلام يدعو إلى توحيد الخالق سبحانه وتعالى ونبذ الأديان الوثنية، ولهذا كان هناك صراع عنيف بين الدعوة وبين المتمسكين بالقديم، وانظم هذا الصراع إلى الحرّية، فانتعشت الخطابة"<sup>2</sup>.

وما ميز الخطابة كذلك في هذا العصر، أنها كانت تستشهد بآي من القرآن الكريم، فهذا يزيد وقاراً ومكانة، يقول الجاحظ: "وكانوا يستحسنون أن يكون في الخطب يوم الحفل، وفي كلام يوم الجمع أي

<sup>1</sup> المصدر السابق، ص: 14.

<sup>2</sup> ديل كارينجي، فن الخطابة، ص: 8.

من القران فان ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار، والرقعة، وسلس الموقع<sup>1</sup>.

من خلال ما سبق، نجد أن الخطابة طلعت شمسها مع بزوغ فجر الإسلام، ليس بلاغة فقط بل في سمو الرسالة التي تحملها.

### ج. الخطابة في العصر الأموي:

عند قيام الدولة الأموية، انقسم المسلمون إلى شيع وأحزاب سياسية ودينية، لوجود خلاف حول من له الأحقية في الحكم، فكان لكل حزب شعراؤه وخطبائه، يدعون الناس للانضمام إليهم، فيمدحون ويحاجون ويدلون العامة إلى ما يخصهم، جاء في كتاب فن الخطابة: "...ثم قامت الدولة الأموية، وانقسم المسلمون إلى شيع سياسية ودينية... وكان لكل حزب خطبائه، ولهذا أُنعت الخطابة"<sup>2</sup>.

وما ساعد فن الخطابة على الازدهار أكثر في هذا العصر، هو تمسك العرب بسلاقتهم اللغوية وأسنتهم العربية الأصيلة رغم دخول الأجانب بينهم، فكان لهم منطق بليغ وبيان حسن، وكانوا متمكنين من الإفهام حيث نجد الواحد منهم لديه قدرة عجيبة على استمالة الأسماع، وجذب العقول، مع حسن ديباجة ورونق بديع، وما ميز هذا العصر وجود عامل مهم أدى إلى توسع فن الخطابة فيه، هو العامل السياسي فقد ظهرت معارضة حادة للدولة الأموية على الخلافة -كما أشرنا سابقا-<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> قدامة بن جعفر، نقد النثر، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، 1980، ص: 95.

<sup>2</sup> ديل كارينجي، فن الخطابة، ص: 8.

<sup>3</sup> شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي: العصر الإسلامي، ج2، دار المعارف، مصر، ط 7، دت، ص: 405.

والحاصل في عصر بني أمية، أن الخطباء قاموا باستغلال ما يحملونه وما يتمتعون به من بلاغة وفصاحة في نقلهم لمذاهبهم، ونشرها، واستمالة الناس إليها، وإقناعهم بما يعتقدون، يقول شوقي ضيف في هذا الصدد: "إنما تلقى في صفوف هذه المعارضة خطابة كثيرة إذ يمتشق الخطباء أسنتهم في تصوير مذاهبهم السياسية، يدعون لها، كما يدعون للانتفاض على بني أمية، وكان يلقاهم أنصار الأمويين بخطابة ملتهبة يصورون فيها خروجهم على الجماعة وشغبهم وأنهم يضلون الطريق، وكل ذلك هياً في قوة لنشاط الخطابة السياسية"<sup>1</sup>، فشوقي ضيف بيّن لنا هنا أغراض الخطابة في عصر بني أمية وأشار إلى الأنواع الرائجة.

وقد ظهر نوع آخر من الخطب في هذا العصر، وهي خطب جدلية تكون بين خصمين فيستعرض كل كلامه بالحجج والبراهين التي يستدل بها على ما قال، في جلسة حوارية، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على نمو العقل العربي وتطوره.

يقول شوقي ضيف: "انبثق علم الكلام في عصر بني أمية، وانبثقت معه صور خطابية جدلية هي صور المناظرة والمحاورة، وهي صور جديدة ضمت إلى صور الخطابة السياسية والحفلية والدينية، صور كانت تسعى إلى نقض أدلة الخصوم وبيان أنهم مخدوعون فيما يذهبون إليه من آراء"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> المصدر السابق، ص: 408.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص: 409.

وصلت الخطابة العربية في العصر الأموي تمامها، ونخص بالذكر الخطابة السياسية، فأينما وليت وجهك، سواء وليته إلى المعارضين أم المؤيدين، وجدت الخطباء قد أقاموا حربهم دون سيوف، يهاجمون ويدافعون بما تحملهم قرائحهم، وبما تفرضه عليهم اتجاهاتهم الفكرية والسياسية.

#### د. الخطابة في العصر العباسي:

سقطت الدولة الأموية سنة 132هـ، وقامت محلها دولة بني العباس، فازدادت الفتن واشتد الصراع بين الأحزاب من علويين، وأمويين، وخوارج، وأصحاب السلطة من بني العباس الذين سعوا إلى دحض هذه الأحزاب، بكل ما استطاعوا من جهد.

وحافظت الخطابة في العصر العباسي الأول على أسباب بقائها ونموها وازدهارها ونشاطها، فاستطاعت أن تتضج وتزدهر، وهذا العصر ما كان إلا امتدادا للعصر الذي كان قبله، فاشتركت خطابة عصر بني أمية وخطابة عصر بني العباس الأول في البناء وشدة الإحكام، وقد وصل إلينا الكثير من النصوص التي كتبت في هذا العصر، وقد شُهر الكثير من الخطباء المفوهين الذين برعوا فصاحة وبلاغة وإجادة في القول، وبديهة، وقدرة عجيبة على الارتجال<sup>1</sup>.

وما يلاحظ أن الخطابة السياسية في مطلع هذا العصر قد نشطت، إذ استخدمتها الدولة العباسية أداة لتبيين أحقية العباسيين في الحكم، لكن لم يدم الحال إلا في البدايات فقط فقد بدأت بالضعف والتراجع وكانت مزدهرة؛ لأنها كانت تكفل للناس حقهم وحررياتهم

<sup>1</sup> ينظر: حسين عبد العالي اللهيبي، الخطابة العربية في العصر العباسي الأول، ص: 95.

السياسية كما كان الحال في عصر بني أمية، أما في نهايات العصر العباسي الأول، فقد تعاملوا مع الناس بالشدة والقوة، فضعفت الأحزاب السياسية ونقصت حرياتهم<sup>1</sup>.

ومثلما ضعفت الخطابة السياسية، ضعفت الخطابة الحفلية، التي كانت معروفة عند بني أمية وذلك لعدم إقبال الوفود على قصور الخلفاء، فقد أسدلت الحجب بين الخليفة والرعية، فلم يعد وفودها وخطبائها المفوهون يغدون عليهم، وانحصرت الخطابة الحفلية على بعض المناسبات كموت ابن أو بنت الخليفة فيقف بعض الخطباء لتعزيتيه، وقد ظل للخطابة الدينية ازدهارها، واتصل بها في هذا العصر الوعظ والإرشاد والنصح، وبقيت مزدهرة مثلما كانت في عصر بني أمية<sup>2</sup>.

أما فيما يخص بناء الخطبة في عصر بني العباس، لم يختلف عنه في عصر بني أمية، فكان الخطيب يولي المقدمة عناية فائقة ليفتح بها كلامه، ليمهد لأفكاره ويثير انتباه السامعين إلى موضوع الخطبة، وكان لا بد من عبارات الحمد والتمجيد، فهي تقليد ورثه الخطباء عن الرسول ﷺ فأصبحت جزءاً لا يتجزأ منها، فهي تزين وتزوق الخطبة وتعطي لها وزناً، لذلك سميت الخطبة التي لا تورد لفظ الجلالة في أولها بالبراء، وقد برع الخطباء في حسن التخلص، وهو المقدرة على التفرغ من المقدمة ودخول الموضوع مع مراعاة ما يتناسب بينهما، فالسامع يكون في انتظار هذا الانتقال من الاستهلال إلى صلب

<sup>1</sup> ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي: العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، ج3، ط8، دت، ص:448.

<sup>2</sup> ينظر: المصدر نفسه، ص: 451.

الموضوع، ليساعده هذا على إكمال الإصغاء، فيقول الخطيب عبارة "أيها الناس" أو عبارة "أما بعد"، وبعد هذا تكون هناك خاتمة، وهي آخر ما يطرق الأسماع ويرسخ في الذهن، فيعرف الخطيب مراده، ويعرف به، وما يميز الخاتمة في هذا العصر، تعدد أشكالها وأغراضها تناسباً مع اختلاف موضوعات الخطب، فهناك من يختم بالاستشهاد من القرآن الكريم، وهناك من يختم بالدعاء، وهناك من يختم بالاستغفار لنفسه وللمسلمين وهناك من يمثل بالشعر<sup>1</sup>.

شهدت الخطابة العربية في العصر العباسي الثاني ضعفاً وعجزاً وهذا كان جلياً في نهاية العصر الأول، وقد أصبحت شيئاً نادراً فما بقي منها سوى القليل كتلك القلائل التي حكاها الطبري عن صاحب الزنج، بل قد أجمل ما رواه من خطب بحيث لا نستطيع أن نتبينها في وضوح، وكذلك الخطابة الدينية على ألسن الخلفاء ولكن بقيت مزدهرة على المنابر وفي خطب الجمع والعيدين، واعتاد الخليفة ألا يخطب يوم الجمعة إلا ما كان من الخليفة الورع الذي حكم أكثر من عام، ويروى أن الخليفة المعتضد حاول أن يخطب في بعض الأعياد فأرتج عليه ولم تسمع خطبه، وحاول بعده الراضي فلم تؤثر خطبه هو الآخر، ولكن أثرت في الناس تلك التي كانت تعقد على شكل حلقات للوعاظ فكان الناس يجلسون حولهم، وكان منهم الرسميون الذين تحددتهم الدولة للخطابة، ومنهم العكس وهم الأكثر ومنهم من يذهب مع الجيوش لبحث روح الحماسة الدينية في نفوس المجاهدين، ولم يخلو يوم في رمضان

<sup>1</sup> ينظر: حسين عبد العالي اللهيبي، الخطابة العربية في العصر العباسي الأول، ص: 103.

من واعظ أو قاص بعد الصلاة، وكانت العامة من الناس يستمعون إليهم<sup>1</sup>.

ومن أسباب تردي الخطابة وانحسارها اختلاط العرب بالعجم فقد عاشوا بينهم وتسللوا إلى حكمهم، فأثر ذلك على اللغة العربية وامتد إلى الخطابة فتراجعت فصاحتها، وانتشر السجع في سطورها، فلبست كلماتها التصنع والتكلف، فأصبحت ثقيلة على الأسماع غير مقنعة للعقول، يقول محمد الخضر حسين: "اختلط العرب بالعجم، وأصبح الموالي يتقلدون إمارة الجيوش وولاية الأعمال، ساءت حال الخطابة العربية، فاغبر وجهها، وبلي ثوبها، وتضاءل على المنابر صوتها، وفي هذا العهد قامت سوق السجع"<sup>2</sup>.

وفي النهاية نستخلص أن الخطابة في العصر العباسي مرت بمرحتين الأولى في العصر العباسي الأول الذي سمي بالعصر الذهبي، فكانت مرحلة الازدهار والإبداع والفصاحة والتطور، وقد كانت امتداداً للخطابة في العصر الأموي، وأما المرحلة الثانية كانت مرحلة انحسارها خاصة السياسية منها والحفلية، إلا أن الخطابة الدينية لازلت حية في المنابر.

<sup>1</sup> ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي: العصر العباسي الثاني، دار المعارف، القاهرة، ج4، ط2، دت، ص: 527.

<sup>2</sup> محمد الخضر حسين، الخطابة عند العرب، ص: 185.

## 3. الرواد:

عمدنا في هذا العنصر إلى ذكر أهم الخطباء العرب حسب التقسيم الزمني بداية بالجاهلي إلى غاية العصر العباسي الثاني مع ذكر أهم خطبهم

## أ.العصر الجاهلي:

عرفت الخطابة في العصر الجاهلي أعلاما وروادا مفوهين، فكانت كل خطبهم تقال سليقة لا تصنعا وتكلفا، فنجد أشهرهم قس بن ساعدة، وسهيل بن عمرو ولبيد بن ربيعة والحارث بن عباد البكري، وأكثم بن صيفي التميمي<sup>1</sup>.

يقول أكثم بن صيفي: "إِنَّ أَفْضَلَ الْأَشْيَاءِ أَعَالِيهَا، وَأَعْلَى الرِّجَالِ مَلُوكُهَا، وَأَفْضَلُ الْمُلُوكِ، أَعْمَهَا نَفْعًا، وَخَيْرُ الْأَزْمِنَةِ أَخْصَبُهَا، وَأَفْضَلُ الْخُطْبَاءِ أَصْدَقُهَا، الصِّدْقُ مَنْجَاةٌ، وَالْكَذِبُ مَهْوَاةٌ، وَالشَّرُّ نَجَاةٌ، وَالْحَزْمُ مَرْكَبٌ صَعْبٌ وَطِيٌّ، آفَةُ الرَّأْيِ الْهَوَى، وَالْعَجْزُ مِفْتَاحُ الْفَقْرِ، وَخَيْرُ الْأُمُورِ الصَّبْرُ، حَسَنُ الظَّنِّ وَرَطَّةٌ، وَسُوءُ الظَّنِّ عَصْمَةٌ، إِصْلَاحُ فِسَادِ الرَّعِيَةِ خَيْرٌ مِنْ إِصْلَاحِ فِسَادِ الرَّاعِي، مَنْ فَسَدَتْ بَطَانَتُهُ كَانَ كَالْغَاصِّ بِالمَاءِ، شَرُّ الْبِلَادِ بِلَادٌ لَا أَمِيرَ بِهَا، شَرُّ الْمُلُوكِ مَنْ خَافَهُ الْبَرِيُّ، الْمَرْءُ يَعْجِزُ لَا مَحَالَةَ، أَفْضَلُ الْأَوْلَادِ الْبَرَّةُ، خَيْرُ الْأَعْوَانِ مَنْ لَمْ يَرَأِ بِالنَّصِيحَةِ"<sup>2</sup>، وما نستشفه من هذه الخطبة هي فصاحة أكثم وبلاغته

<sup>1</sup> نسرین طاهر مالک، النثر الجاهلي والإسلامي والأموي: دراسة تحليلية، مجلة ايكتا اسلاميكا، مج2، عدد1، 2014م، ص : 114.

<sup>2</sup> أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة: العصر الجاهلي والعصر الإسلامي، مكتبة مصطفى ابي الحلبي، ط1، 1963، ص: 22.

ودقة نسجه وحكمته رغم ارتجاله في ما قاله فهو ينصح ويرشد ويعلم من خلال تجاربه أو تجارب غيره.

ويقول الحارث بن عباد البكري أمام ملك كسرى: "دامت لك المملكة باستكمال جزيل حظها، وعلو سنانها، من طال رساؤها، كثر مدحه، ومن ذهب ماله قلّ منحه، تناقل الأقاويل يعرف اللب، وهذا مقام سيوجف بما ينطق به الركب، وتعرف به كُنْهُ حالنا العجم والعرب، ونحن جيرانك الأذنون وأعوانك المعينون، خيولنا جمّة، وجيوشنا فخمة، إن استجدتنا فغير ريبض، وإن استطرفتنا فغير جهض، وإن طلبتنا فغير غمض، لا ننتهي للذعر ولا ننتكر للدهر، رماحنا طوال، وأعمارنا قصار...". قال كسرى: "لو قصر عمرك لم تستول على لسانك نفسك"، قال الحارث: "أيها الملك إن الفارس إذا حمل نفسه على الكتيبة مغررا بنفسه على الموت، فهي منية استقبلها، وجنا استدبرها، والعرب تعلم أني ابعث الحرب قدما، وأجسها وهي تصرف بها، حتى إذا جاشت نارها، وسعرت لظامها، وكشفت عن ساقها، جعلت مقادها رمحي، وبرقها سيفي، ورعدا زئيري، ولما أقصر عن خوض خضاضها، حتى انغمس في غمرات لجبها وأكون فلكا لفرساني إلى بجبوحة كبشها، فاستمطرها دما، واترك حماتها جزر السباع وكل نسر قشعم، ثم قال كسرى لمن حضر من العرب: أكذلك هو؟ قالوا: فعاله أنطق من لسانه"<sup>1</sup>.

ونرى أن الحارث في خطبته يتفاخر ويعتز بعروبته، ونسبه، وأصله، فيقول في ذلك قولا بليغا، قصيرا ومصيبا، فيشهد له كلامه على

<sup>1</sup> المصدر السابق، ص: 24.

فصاحته وذلك لما رد على ملك كسرى حين لم يصدقه قولا في المرة الأولى.

ومن بين أشهر خطباء العرب نجد أيضا عمرو بن معد بكر الزبيدي يقوم هو الآخر في نفس المجلس فيقول: "إنما المرء بأصغريه: قلبه ولسانه، فبلاغ المنطق الصواب، وملاك النجعة الارتياح وعفو الرأي خير من استكراه الفكرة، وتوقيف الخبرة خير من اعتساف الحيرة، فاجتنب طاعتنا بلفظك، واكتظم بادررتنا بحلمك، وألن لنا كتفك بسلس لك قيادنا، فنحن أناس لم يوقس صفاتنا قراع مناقير من أراد لنا قضا، ولكن منعنا حمانا من كل من رام لنا هضما"<sup>1</sup>.

ونجد كذلك عمرو يخطب متفاخرا بقومه واصفا إياه بحسن الطباع مادحا له بأبلغ الكلام وأوضحه.

#### ب. عصر صدر الإسلام:

وأول من يجب ذكره في هذا العصر: حبيبنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم - فكان يخطب في العرب لهدايتهم إلى طريق الإيمان والإسلام، فقد وهبه الله لسانا فصياحا ملك به أزمّة القلوب، فقد كان طول فترة مكوثه بمكة يتلو على أسماع قريش القرآن الكريم وأحيانا يخطب فيهم، شارحا مفسرا آياته متكلما عن رسالته، يدعوهم إلى وحدانية الله تعالى، ويحدثهم عن الجنة والنار، والحلال والحرام ويوم البعث، حتى انتقل إلى المدينة ففرضت الخطابة في صلاة الجمع والأعياد ومواسم الحج، وكان أحيانا يطيل الخطابة إلى ساعات إلا أن كتب الأدب والتاريخ لم تحتفظ من هذا التراث القيم إلا بأطراف قليلة،

<sup>1</sup> المصدر السابق، ص: 29.

ولعل السبب راجع إلى طول المدة بين خطبه وعصر التدوين فضاعت، إلا بقايا قليلة، وأكثر هذه البقايا هي التي خطب بها -عليه الصلاة والسلام- بعد الهجرة، وهي أول خطبة خطبها بالمدينة حين صلى بالناس صلاة الجمعة، فقال: "الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهدي به وأومن به ولا أكفر به وأعادي من يكفره وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان وذنو من الساعة وقرب من الأجل، من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا، وأوصيكم بتقوى الله، لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه، عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة، ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السوء والعلانية لا ينوي بذلك إلا وجه الله يكن له نكر في عاجل أمره وذخرا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدّم، وما كان من سوى ذلك يود لو أن بينه وبين الموت أمدا بعيدا، ويحذركم الله نفسه، والله رؤوف بالعباد، والذي صدق قوله، وأنجز وعده لا خلف لذلك، فانه يقول عز وجل (مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ)، فاتقوا الله في عاجل أمركم وأجله، في السر والعلانية ومن يتقي الله فقد فاز فوزا عظيما، وإن تقوى الله يوقى مقتته ويوقى عقوبته ويوقى سخطه، وإن تقوى الله يبيض الوجوه ويرضى الرب، ويرفع الدرجة، خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله، قد علمكم الله كتابه، ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين فأحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا أعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك على بينة ويحيى من حي عن بينة ولا قوة إلا بالله، فأكثرُوا ذكر

الله، واعملوا لما بعد اليوم، فإنه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس، ذلك بأن الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه، ويملك من الناس ولا يملكون منه، الله أكبر، ولا قوة إلا بالله العظيم<sup>1</sup>.

في هذه الخطبة يدعو الرسول ﷺ - الناس إلى توحيد الله عز وجل وأن يبتعدوا عن ما نهاهم عنهم، ويفعلوا ما أمرهم به، ويستشعروا وجوده ليدخلوا فسيح جنّاته، ويحثهم على الجهاد في سبيل الله ونشر دعوة الحقّ.

ولا يمكننا الحديث عن خطبه ﷺ - وعدم ذكر خطبة الوداع التي كانت آخر ما خطب وهي من أكثر الخطب تأثيراً في النفوس وأبقى في العقول، فيقول: "الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحتمكم على طاعته، وأستفتح بما هو خير، أما بعد، أيها الناس، اسمعوا مني أبيعن لكم فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا، أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام، إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى الذي ائتمنه عليها، وإن ربا الجاهلية موضوع، وإن أول ربا أبدأ به هو ربا عمي العباس ابن عبد المطلب، وإن دماء الجاهلية موضوعة غير السّدنة والسقاية، والعمد قود، ويشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر وفيه مئة بغير، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية، أيها

<sup>1</sup> ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، دار المعارف، ج2، القاهرة، ط7، دت، ص: 115.

الناس، إن الشيطان قد يأس أن يعبد في أرضكم هذه ولكنه قد رضي أن يطاع فيها سوى ذلك ممات حقرون من أعمالكم، أيها الناس [إنما النسيءُ زيادةٌ في الكُفرِ يُظَلُّ بهِ الذين كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ]، إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض [إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ] ثلاثة متواليات وواحد فرد، ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد، أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقا ولكم عليهن حق، لكم عليهن أن لا يطمئن فرشكم غيركم، ولا يدخلن أحدا تکرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، ولا يؤتین بفاحشة مبينة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع وتضربهن ضربا غير مبرح، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم كسوتهن بالمعروف، وإنما النساء عندكم عوانٌ، لا يملكن لأنفسهن شيئا، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ن فاتقوا الله في النساء، استوصوا بهن خيرا، إلا هل بلغت؟، اللهم اشهد، أيها الناس، إنما المؤمنون إخوة، ولا يحل لامرئ مسلم مال أخيه إلا عن طيب نفس منه، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد، فلا ترجعن بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض...<sup>1</sup> إلى آخر الخطبة.

وقد بين الرسول ﷺ جملة من التشريعات الإسلامية والتي هي عبارة عن حدود بين الدين الإسلامي وغيره، ففصل في ذلك بذكره ما وجب فعله وما وجب تركه، محذرا من إغواء الشيطان لبني آدم، وهذه الخطبة عبارة عن وعظ وإرشاد وتوصية ودعوة، ونلاحظ عدم وجود

<sup>1</sup> ينظر: المصدر السابق، ص: 119.

التكلف والتصنع في السجع بين كلامه وعدم استخدامه لغريب اللفظ -  
 ﷺ- وعرف هذا العصر بخطابة الخلفاء الراشدين الذين كانوا من أفصح  
 الناس وأكبر بلغائهم، فكان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي في القمة،  
 خاصة بعد أن دخلت في نفوسهم بيان القرآن وبيان الرسول -صلى الله  
 عليه وسلم- فسكن هذا البيان قلوبهم.

وكان أبو بكر -رضي الله عنه- أول من أسلم من الرجال وكان  
 صاحب رسول الله -ﷺ- وتأثره به غلب على قلبه فظهر ذلك على  
 لسانه وقد انتقلت إلينا خطب كثيرة له تدل على صدقه وحسنه ووعيه  
 وفطنته ومن بين ذلك أنه -لما انتقل رسول الله صل الله عليه وسلم  
 إلى الرفيق الأعلى- انصدم الناس وكان عمر من بينهم قالوا: أن  
 الرسول -ﷺ- لم يمت أقبل فكشف عن وجهه، فقبله، وقال: بأبي أنت  
 وأمي طبت حيا وطبت ميتا وخرج من عنده فبدر الصحابة بخطبته  
 المشهورة التي قال فيها: "من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان  
 يعبد الله فإن الله حي لا يموت" ثم احتج بقوله تعالى: [وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا  
 رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ  
 ]، ثم تلا [كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ]، ثم تلا: [كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ]  
 فصَدَّقوا موته، ولما عرف أن الأنصار قد اجتمعوا إلى سعد بن عبادة  
 في سقيفة بني ساعدة يقولون: منا أمير ومن قريش أمير، فذاعه -  
 وجدتها هكذا- ذلك وخشي على الأمة من الفرقة والطمع في الملك،  
 فبادر إليهم وتبعه عمر وأبو عبيدة من جملة من المهاجرين، وهناك  
 خطب في الأنصار، وأقنعهم أن يجتمعوا على رجل من قريش، وتمت  
 البيعة له فخطب في الناس، وقال: "أيها الناس إنني قد وليت عليكم  
 ولست بخيركم، فإن رأيتموني على حق فأعينوني، وإن رأيتموني على

باطل فسددوني، أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإذا عصيته فلا طاعة لي إلا أن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له، وأضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم" ويقول في خطبة أخرى: "إن الله عز وجل لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد به وجهه، فأريدوا الله بأعمالكم، واعلموا أن ما أخلصتم لله من أعمالكم فطاعة أتيتها، وحظ ظفرت به، وضرائب أديتها وسلف قدمتموه من أيام فانية لأخر باقية، لحين فقركم وحاجتكم واعتبروا عباد الله بمن مات منكم فيمن كان قبلكم أين كانوا أمس وأين هم اليوم؟ أين الجبارون؟... أين الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط وجعلوا فيها الأعاجيب؟ قد تركوها لمن خلقهم فتلك مساكنهم خاوية، وهم في ظلمات القبور، هل تحس منهم من أحد من خلقه سبب يعطيه به خيرا ولا يصرف عنه به سوءا إلا بطاعته وإتباع أمره، واعلموا أنكم عبيد مدينون، وأن ما عنده لا يدرك إلا بطاعته، أما إنّه لا خير بخير بعده النار ولا شر بشر بعده الجنة"<sup>1</sup> وهذه عبارة عن موعظة.

وفي موضع آخر كان وصيا للجيش الفاتحة ويعلمهم كيفية التعامل في الحروب، فيقف فيقول: "أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عنّي: لا تخونوا ولا تغلوا، ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة، ولا تقعروا نخلا، ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بغيرا إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> ينظر المصدر السابق، ص: 123.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص: 124.

والملاحظ أنه متأثر بطريقة ونهج رسول الله في ابتعاده عن السجع والتكلف في الكلام وغريب اللفظ فكلامه فصيح واضح الدلالة.

وقد كان خليفته في الحكم عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وكان خليفته في الخطابة كذلك، فكان ذا علم واسع وعزم شديد، ففتح على يده بلاد فارس والشام ومصر إذ كان في مرتبة رفيعة من البلاغة والفصاحة، وما إن يتكلم حتى تخضع له القلوب يقول في إحدى مواضعه: "إن الله سبحانه وبجمده قد استوجب عليكم الشكر واتخذ عليكم الحجج فيما أتاكم من كرامة الآخرة والدنيا من غير مسألة منكم له ولا رغبة منكم فيه إليه فخلقكم تبارك وتعالى، ولم تكونوا شيئاً، لنفسه وعبادته، وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة، وحملكم في البر والبحر ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون، ثم جعل لكم سمعاً وبصراً، ومن نعم الله عليكم نعم عمّ بها بني آدم، ومنها نعم اختص بها أهل دينكم، ثم صارت تلك النعم خواصها وعوامها في دولتكم وزمانكم وطبقتكم، وليس من تلك النعم من نعمة وصلت إلى امرئ خاصة إلا لو قسم ما وصل إليه منها بين الناس كلهم أتعبهم شكها وفدحهم حقها إلا يعون الله مع الإيمان بالله ورسوله، فأنتم مستخلفون في الأرض، قاهرون لأهلها قد نصر الله دينكم، والله المحمود مع الفتوح في كل بلد... فنسأل الله الذي لا إله إلا هو الذي أبلانا هذا أن يرزقنا العمل بطاعته والمسارة إلى مرضاته"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> ينظر : المصدر السابق، ص:125.

وقد نهج عمر نفس نهج أبي بكر في طرح الموضوعات أما أسلوبه فالملاحظ عنه أنه أقوى من أبي بكر -رضي الله عنه- كلماته تحوي نوعاً من الخشونة والصلابة على عكس ألفاظ أبي بكر.

وبعد موت عمر -رضي الله عنه- خلفه عثمان وكان أقل فصاحة من أبي بكر وعمر، يقول في إحدى خطبه: "إنكم في دار قلعة وفي بقية أعمار، فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه، فلقد أتيتم صبحكم وأمسيتم، إلا أن الدنيا طويت على الغرور فلا تغرنكم الحياة الدنيا، ولا يغرنكم بالله الغرور، اعتبروا لمن مضى ثم جدوا ولا تغفلوا، فإنه لا يغفل عنكم أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين آثروها وعمروها وامتعوا بها طويلاً؟ ألم تلفظهم؟ أرموا بالدنيا حيث رمى الله بها، واطلبوا الآخرة فإن الله قد ضرب لها مثلاً، فقال عز وجل: **لِوَأَضْرِبَ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ، فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ** وكان الله على كل شيء مقتدرًا، المال والبئون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خيرٌ عند ربِّك ثوابًا وخيرٌ أملاً<sup>1</sup>، فنجده يحث الناس على طاعة الله سبحانه وتعالى والزهد في الدنيا والعمل للآخرة، ولا يخرج عن موضوعات الخلفاء السابقين محاولاً التأثير على الناس وتسديد رأيهم وبصيرته للحق بما استطاع من كلام وحجج.

### ج.العصر الأموي:

عرف هذا العصر بكثرة الأحزاب، واختلاف الفرق، وتصادم في الآراء، وهذا خلق ثورة فكرية، كان سبيلها الأقصر هو الخطابة، فكثرت الخطباء، وأصبح لكل حزب خطبائه الذين يروجون لأفكاره واعتقاداته،

<sup>1</sup> ينظر: المصدر السابق، ص: 126.

فللخوارج خطباء وللزييريين خطباء وللشيعة خطباء ولبنى أمية خطباء، فلكل طرف منهم خطباء مفوهون، ولعل حزبا لم يكثر خطبائه كما كثروا في الخوارج، إذ كانوا شديدي الحماسة لعقيدتهم ولم يدعوا لها سرا كما دعا الشيعة في أكثر الأمر، بل دعوا لها جهارا، معلنين الحرب على بنى أمية، ولكن لم تصل إلينا كل خطبهم لأن الناس من قريب بيئتهم يتخرجون من روايتها، إذ كانوا يرون فيهم ثورا خارجين على الجماعة، ويبدو أنهم هم كذلك لم يسعوا إلى تسجيلها، ومع ذلك ما بقيت منها احتفظت بها كتب الأدب والتاريخ، وأول من نقلى من خطبائهم حيان بن ظبيان التلمي والمستورد بن علفة لعهد المغيرة بن شعبة في ولايته على الكوفة لمعاوية، وأيضا نجد نافع بن الأزرق وطائفة من زعمائهم لدى عبد الله بن الزبير يناظرونه فخالفهم رأيا فاتجهوا إلى البصرة، وهناك انقسموا إلى أزارقة وصفرية وإباضية<sup>1</sup>.

وهناك خطباء آخرين نافع بن الأزرق والزيير بن علي الذي له خطب مختلفة يدعو فيها إلى الاستشهاد والمحاربة في سبيل الحق، ويخبر فيها أن الحياة الدنيا زائفة والآخرة هي الأبقى، ويقول في أحد خطبه: "إن البلاء للمؤمنين تمحيص وأجر وهو على الكافرين عقوبة وخزي وثقوا بأنكم المستخلفون في الأرض والعاقبة للمتقين"<sup>2</sup>. ففي رأيه هم الفئة التي على حق وخصومه على الباطل، وهم المؤمنون وغيرهم الكافرون، وقتلاهم في الجنة، فيطلبون الاستشهاد.

ونرى كذلك قطري بن فجاءة يقول: "أما بعد فإنني أحذركم الدنيا، فإنها حلوة خضرة، حفت بالشهوات، مع أن امرأ لم يكن منها في حيرة،

<sup>1</sup> ينظر: المصدر السابق، ص: 415.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص: 412.

إلا أعقبته بعدها عبرة، ولم يلقى من سرائها بطناء إلا منحتة من ضرائها ظهرا، ولم تطله غيبة إرخاء، إلا هطلت عليه مزته بلاء، وحرى إذا أصبحت له منتصرة أن تسمي له خاذلة متتكرة وإن جانبها منها اعذوب واحلولى أمر عليه منها جانب وأبى، وإن آتت إمرا من عصارتها ورفاقتها نعماً أرهقتة من نوائبها نقما، ولم يمس امرؤ منها في جناح أمن إلا أصبح منها على قوادم خوف، غرارة غرور ما فيها، فانية، فإن من عليها لا خير في شيء من زادها إلا التقوى<sup>1</sup> إلى آخر الخطبة على هذا النحو من وعظ وترغيب وتخويف، وفيها جمال في اللفظ ووظف السجع ليؤثر على السامعين وأضاف التصوير والطباق لينمق معانيه.

وهناك خطباء من خطباء الأزارقة عبيدة بن هلال البشكري، وزيد بن جندب الإبادي وعبد ربه الصغير وخطباء الأحزاب والمجموعات الأخرى، فنجد عمران بن حطان وصالح بن مسرح الذي كان يعظهم ويقص عليهم، يقول: "أوصيكم بتقوى الله والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة وكثرة ذكر الموت، وفراق الفاسقين وحب المؤمنين فإن الزهادة في الدنيا ترغب العبد فيما عند الله وتفرغ بدنه لطاعة الله، وإن كثرة ذكر الموت يخيف العبد من ربه، حتى يجأ إليه ويستكين له..." ويبقى على هذه الحال يعظ ويحرض على قتل بني أمية، وتبعه آخرون أمثال الطرماح بن حكيم وشبيل بن عزة الصدعي والضحاك بن قيس، وعبد الله يحي الكندي الملقب بطالب الحق، وأبي حمزة ويقول متحدثا عن شبابهم: "شباب والله مكهلون في شبابهم غضيضة عن الشر أعينهم، ثقيلة عن الباطل أرجلهم أغضاء عبادة وأطلاح سهر، ينظر الله إليهم

<sup>1</sup> المصدر السابق، ص: 416.

في جوف الليل منحنية أصلابهم على أجزاء القران، كلما مر أحدهم  
 بآية من ذكر الجنة بكى شوقاً إليها، وإذا مر بآية من ذكر النار شهق  
 شهقة كأن زفير جهنم بين أذنيه... "إلى آخر الخطبة وهي من أروع  
 الخطب له، فأحسن التصوير والإخراج، يستميل القلوب بعذوبة ألفاظه،  
 وأحسن تمثيل نقواهرهم واندفاعهم نحو الاستشهاد ونجد لذلك الحسين حين  
 اقترب من الكوفة اجتمع الناس من حوله يقول: "أما بعد... أيها الناس  
 فإنكم إن تتقوا وتعرفوا الحق لأهله يكن أرضى الله ونحن -أهل البيت-  
 أولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدعين ما ليس لهم، والسائرين  
 فيكم بالجور والعدوان" وكان من زعماء التوابين عبيد الله بن عبد الله  
 المري، وكان لا يبارى فقام يعظ الناس ويحرضهم على الانتفاض على  
 الأمويين يقول: "هل خلق ربكم في الأولين والآخرين أعظم حقا على  
 هذه الأمة نبتها؟ وهل ذرية أحد النبيين والمرسلين أو غيرهم أعظم حقا  
 على هذه الأمة من ذرية رسولها؟ لا والله ما كان ولا يكون، ألم تروا أو  
 يبلغكم ما أجتزم إلى ابن بنت نبيكم... وترميلهم إياه بالدم وتجرارهموه  
 على الأرض؟ لم يراقبوا فيه ربهم ولا قرابته من الرسول صلى الله عليه  
 وسلم- ابن أول المسلمين إسلاما وابن بنت رسول العالمين قتله عدوه  
 وخذله وليه، فويل للقاتل وملامة للخاذل"<sup>1</sup>.

#### د.العصر العباسي:

عرف هذا العصر الكثير من الخطباء المفوهين والعظام خاصة  
 في الأول منه فقد كان امتدادا للعصر الذي قبله ونجد من بينهم أبي  
 العباس السفاح حين يتحدث عن رحمهم وقرابتهم للرسول صلى الله

<sup>1</sup> ينظر: المصدر السابق، ص: 416، 417.

عليه وسلم - مستشهدا بالقرآن الكريم حين بويع بالخلافة في الكوفة، يقول: "وزعمت السبئية الضلال أن غيرنا أحق بالرياسة والخلافة منا، فشاهات وجوههم، أيها الناس ويهدي الله الناس بعد ضلالتهم وبصرهم بعد جهالتهم، وأنقذهم بعد هلكتهم... وجمع الفرقة حتى عاد الناس بعد العداوة أهل تعاطف وبر"، والتحق به عمه داود بن علي وشابهه في الموضوع، وبعده أبو جعفر المنصور ولم يكن في العباسيين أبين منه ولا أخطب، وثار محمد بن عبد الله بن الحسن العلوي الذي يحمل نفس الزكية فيكتاتبان، فبدأ كل منه يدافعه عن أحقيته في الخلافة، وكان محمد بن عبد الله لا يقل عنه فصاحة، ومن قوله: "إن أحق الناس بالقيام في هذا الدين أبناء المهاجرين الأولين والأنصار المواسين، اللهم إنهم قد أحلوا حرامك وحرّموا حلالك وعملوا بغير كتابك وغيروا عهد نبيك - ﷺ - وآمنوا من أخفت وأخافوا من أمنت فأحصهم عددا واقتلهم بددا، ولا تبق على الأرض منهم أحدا؟؟؟"، ونجد كذلك خطبة المهدي بارعة ماثورة ونجد للرشيد كذلك يقول: "عباد الله إنكم لم تخلقوا عبثا ولن تُتركوا سُداً، حصنوا إيمانكم بالأمانة ودينكم بالورع وصلاتكم بالزكاة، فقد جاء في الخبر أن النبي ﷺ - قال: "لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له ولا صلاة لمن لا زكاة له، إنكم سفر مجتازون وأنتم عن قريب تنتقلون من دار فناء إلى دار بقاء، فسارعوا إلى المغفرة بالتوبة وإلى الرحمة بالتقوى وإلى الهدى بالإنابة فإن الله تعالى ذكره وأوجب رحمته للمتقين ومغفرته للتائبين وهذا للمنيبين"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي : العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، ج3، ط8، دت، ص:

وكان المأمون من بين أبرع الخطباء في هذا العصر، يقول في إحدى خطبه بمناسبة عيد الفطر: "اتقوا الله عباد الله وبادروا الأمر الذي اعتدل فيه يقينكم ولم يحتضر الشك فيه أحدا منكم، وهو الموت المكتوب عليكم، فإنه لا انتقال بعده عشرة ولا تحضر قبله توبة، واعلموا أنه لا شيء قبله إلا دونه، ولا شيء بعده إلا فوقه... ولا يعين على القبر وظلمته وضيقه ووحشيته وهول مطلعته ومسألة ملائكته إلا العمل الصالح الذي أمر الله به فمن زلت عند الموت قدمه فقد ظهرت ندامته وفاتته استقالته ودعا من الرجعة إلى ما لا يجاب إليه وبذل من الفدية ما لا يقبل منه"؟؟؟؟، وهناك خطيب آخر، المعتزلي الزاهد عمرو بن عبيد واعظ المنصور وصالح بن عبد الجليل واعظ المهدي وابن السماك واعظ الرشيد، ويروى أن عمرو بن عبيد دخل على المنصور يوما فقال له عظمي، فقال: "إن الله أعطاك الدنيا بأسرها فاستر نفسك ببعضها، واذكر ليلة تمخض عن يوم لا ليلة بعده، فخاف أبو جعفر المنصور من قوله فقال له: الربيع حاجب المنصور يا عمرو غممت أمير المؤمنين، فقال عمرو: إن هذا صحبتك عشرين سنة لم ير لك عليه أن ينصحك يوما واحدا، وما عمل وراء بابك بشيء من كتاب الله ولا سنة نبيه قال أبو جعفر: فما أصنع؟ قد قلت لك: "خاتمي في يدك فتعال وأصحابك"، فاكتفى، فقال عمرو: "ادعنا بعد ذلك نسخ أنفسنا بعونك، ببابك ألف مظلمة أردد منها شيئا نعلم أنك صادق؟"، وأما الثاني صالح بن عبد الجليل ناسكا فصيحاً، يعظ المهدي فيطيل في وعظه حتى يبكيه، ويروى أنه طلب الإذن بالكلام، فأعطي، فقال: "كان أصحاب الرسول صلى الله عليه سلم - يقولون من حجب الله عنه العلم عذبه على الجهل أشد منه عذابا من أقبل إليه العلم وأدبر عنه ومن أهدى الله

إليه علما فلم يعمل به، فقد رغب عن هدية الله وقصّر بها، فاقبل ما أهدى الله إليك من أسننتنا قبول تحقيق وعمل لا قبول سمعة ورياء فإنه لا يعدمك منا إعلام لما تجهل أو مواطأة على ما تعلم أو تذكير من غفلة، فقد وطن الله عزّ وجلّ نبيّه عليه السلام على نزولها تعزية عما فات وتحسينها من التمادي ودلالة على المخرج فقال: "وإما ينزغناك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله" فأطلع الله على قلبك بما ينوره من إيثار الحق ومنابذة الأهواء، ولا حول ولا قوة إلا بالله"، وابن السماك الواعظ المؤثر هو الآخر، وله مواقف مع الرشيد في كتب التاريخ والأدب، دخل يوما على الرشيد فقال له عظمي، فقال: "يا أمير المؤمنين، اتق الله وحده لا شريك له، واعلم أنك واقف غدا بين يدي الله ربك ثم مصروف إلى إحدى منزلتين لا ثالثة لهما جنة أو نار، فبكي هارون حتى ابتلت لحيته<sup>1</sup>.

ومن خلال ما سبق نجد أن العصر العباسي الأول شهد على الكثير من الخطباء الوعاظ الفصحاء الذين استطاعوا أن يؤثروا بكلامهم المسند، التأثير في النفوس وامتلاك القلوب.

أما العصر العباسي الثاني المعروف عنه تدهور في الخطابة - كما سبق لنا الذكر - لكن هذا لا ينفي وجود بعضهم أمثال: أبو حمزة الصوفي وهو أول من تكلم في المنابر ببغداد مدخلا مواضعه بمصطلحات صوفية وأفكار من صفاء الذكر وجمع الهم والمحبة وهناك أيضا الخليفة المهدي الورع الذي كان يذهب في كل يوم الجمعة

<sup>1</sup> ينظر: المصدر السابق، ص: 453.

ويخطب في الناس ويؤمّمهم، وهناك الواعظ أبي العباس الطبري الذي كان يلقي كلامه على أسماع الجيوش ليحثهم على الجهاد<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي كالعصر العباسي الثاني، ص: 329.

الفصل الثاني

عُرف علي بن أبي طالب رضي الله عنه - ببلاغته وفصاحته خاصة في خطبه التي ألقاها، فأبدع في نسج أسطرها بتصوير جمالي يسرُّ السامعين، وأما ما سوف نركز عليه نحن في أسلوبه البلاغي هو التشبيه، لأنه يعتبر من بين أهم ما استخدمه العرب في كلامهم وذلك للجمالية التي يحملها، فوعى العرب كان وعياً يعتمد على التشبيه بالدرجة الأولى لقدرته على التصوير والتوضيح.

وفي دراستي سوف نقسم التشبيه الموجود في خطبه حسب نوعين المركب والمفرد، والذي هما دورهما ينقسمان إلى عدة أضرب، فكانت كما يلي:

### 1. التشبيه المركب:

#### أ. التشبيه الضمني:

يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه - في إحدى خطبه موضوعها مبعث النبي -ﷺ-: "... ثم اختار سبحانه لمحمد -ﷺ- لقاءه ورضي له ما عنده، فأكرمه عن دار الدنيا، ورغب به عن مقارنة البلوى، فقبضه إليه كريماً، وخلف فيكم ما خلقت الأنبياء في أممها، إذ لم يدلّوهم بغير طريق واضح ولا علم قائم"<sup>1</sup>، أراد علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أن يوضح المشبه به باستخدامه للتشبيه الضمني، فقدم صورة يوضح من خلالها صفاته -ﷺ- فشبه أثر النبي -ﷺ- بأثر الذين سبقوه من الأنبياء فمثل بهم، فلم تذكر أداة التشبيه لكي لا تكون هناك مسافة بين كلا الصورتين توضح الأولى باستخدام الثانية فقال:

<sup>1</sup> الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقق: فارس الحسون، مركز الأبحاث العقائدية، إيران، ط1، 1419هـ، ص: 31.

"خلف فيكم ما خلفت الأنبياء في أممها"، أي أن النبي ﷺ - اشترك مع باقي الأنبياء في رسالته وعمله وأثره، وهنا تقدير لكيان الرسول-صلى الله عليه وسلم- وإعلاء من شأنه وهذه إحدى أغراض التشبيه، "وقد ألح البلاغيون على أن أغراض التشبيه هي توضيح المشبه أو تقديره أو تحسينه أو تقبيحه كل في موضعه"<sup>1</sup>.

غرض التشبيه يكمن في التوضيح بل وكذلك في إرساء مكانة للمشبه التي يستحقها في نظر القائل فيزيده رفعة.

ومن خطبه رضي الله عنه- وهي أفصح كلامه وفيها يعظ الناس ويهديهم لعلمهم يبتعدون عن الضلالة، ويقال أنه قالها بعد مقتل طلحة والزبير، فيقول: "بنا اهتديتم في الظلماء، وتتسّمتم العلياء، وبنا انفجرتم عن السرار، وُقِرَ سمعٌ لم يفقه الواعية، كيف يراعي النبأ من أصمته الصيحة؟"<sup>2</sup>.

هنا تشبيه مركب ضماني، فهو يصف حالة دون استخدام أداة التشبيه، وذكر صورتين مختلفتين اشتركتا في صفة واحدة فيقول: "وقر سمع لم يفقه الواعية"، أي أن الذي لا يأخذ بالنصيحة هو أصم لا يسمع، ويقول كذلك: "كيف يراعي النبأ من أصمته الصيحة؟"، والنبأ هي الصوت الخافت، فقد وضّح الأولى بالثانية، فالذي لا يعتبر بالمواعظ الشديدة الأثر كيف له أن يتأثر بالصغيرة، كذلك الذي لم يسمع الصراخ هل له أن يسمع الصوت الخافت؟ فهنا الشيء المخفي الغير الظاهر، ولا يفهم من الوهلة الأولى، فقد تعمق رضي الله عنه-

<sup>1</sup> عبد الحفيظ القط، دراسات في النقد والبلاغة، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1980م، ص:128.

<sup>2</sup> الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص: 55.

في التشبيه لكي يكون أكثر جذبا للعقول ويكون وقعه أكبر في النفوس فتحس بأهمية الأمر، "فالتشبيه كلما كان أوغل في بيان وجه التشبيه تعميقا في الكشف عنه كان أكثر تأثيرا في النفس"<sup>1</sup>.

وفي الخطبة التي قبلها تمت البيعة لأبي بكر في السقيفة ينهى فيها عن الفتنة ومتكلما عن خلقه وعلمه: "فإن أقل: يقولوا: جزع من الموت هيهات بعد اللتايا والتي، والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بندي أمه، بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطويّ البعيدة"<sup>2</sup>، فنجد لوحات فنية يرسمها ابن أبي طالب -كرم الله وجهه- في كلامه هذا، يرد على الذين يقولون عنه أنه يخاف الموت، فشابه بين اطمئنانه لها وأنسته معها كالطفل الرضيع لصدر أمه بل قال: استأنسه أكثر من الطفل الرضيع، فمزج بين التشبيه الضمني والمقارنة، وقال عن علمه أنه لو تكلم وباح به لبهتم ودخلتم بعضكم وتشابكتم تشابك الحبل في البئر العميقة، فشبه علمه الغزير بالبئر العميق المليء، فكلاهما يحملان خيرا الأول العلم والثاني الماء، فأصاب وأحسن التشبيه، تاركا مجالا لخيال السامع لكي يربط بين الاثنين، أي أنه تشبيه ضمني ظاهر في الكلام مضمر على المتلقي، يفهم من السياق، فلا نجد أداة تشبيه ولا وجه شبه واضح، فأحيانا تكمن جمالية الأسلوب في الغموض وعدم الإفصاح.

### التشبيه التمثيلي:

يقول رضي الله عنه- في ذكره للحج: "وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ، الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنْعَامِ، يَرِدُونَهُ وَرُودَ الْأَنْعَامِ، وَيَأْلَهُونَ إِلَيْهِ وَوُجُوهُ الْحَمَامِ"<sup>3</sup>، ففي عبارة يردونه ورود الأنعام، ويألهون إليه ولو الحمام تشبيه تمثيلي، فقد مثل صورة بصورة أخرى حيث شبّه إقبال الناس على

<sup>1</sup> بد الحفيظ قط، دراسات في النقد والبلاغة، ص:129.

<sup>2</sup> الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص:44.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص:31.

البيت الحرام بإقبال الأنعام والحمام واجتماعهم على ما يرغبون فيه بغية تقريب المعنى وصنع دلالة تمس الوجدان، فأحدث تناغماً وتفاعلاً بين الطرفين وخلق علاقة بينهما جعلتهما يشتركان في خاصية واحدة، "فالتشبيه تصورات بلاغية تقوم على التفاعل الدلالي بين أطرافها من ناحية وبينها وبين السياق من ناحية أخرى، فإننا نستطيع أن نلمس درجة معينة من الانزياح لأطراف الصورة"<sup>1</sup>.

فالتشبيه يعتبر من بين أنواع الانزياحات، وهو أحد هيئاته اللغوية البلاغية.

يقول علي رضي الله عنه - في مبايعته: "فما راعني إلا والناس إلي كعُزْفِ الضُّبُعِ يَنثَالون عليَّ من كل جانبٍ، حتى لقد وُطِيَ الحسنان وشُقَّ عطفاي، مجد معين حولي كَرَبِيضَةِ الغنم فلما نَهَضْتُ بالأمر نكثت طائفة، ومرقت آخر، وفسق آخرون كأنهم لم يسمعوا الله سبحانه يقول: [تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ] بلى والله لقد سمعوها ووعوها، ولكنهم حَلَيْت الدنيا في أعينهم وراقهم زَبْرَجُهَا"<sup>2</sup>.

وظَّف علي رضي الله عنه - عدَّة صور تشبيهية زيّن وقوى بها خطبته، ووضح ما قاله لتقريب كلامه للناس، ففي عبارة ما راعني إلا والناس إلي كعُزْفِ الضُّبُعِ، شبّه الناس الذين

<sup>1</sup> محمد صلاح زكي أبو حميدة، البلاغة والأسلوبية عند السكاكي، جامعة الأزهر، غزة، دط، 2012م، ص: 285.

<sup>2</sup> الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص: 47.

أتوا لمبايعته بالضبع كثيف الشعر حول العنق، فالرابط بين الحالتين هو الازدحام والكثرة، فقد قام بإعطاء حالة مشابهة واصفا بطريقة تشبيهية المشهد الذي كان يعيشه في تلك اللحظة فقرب لنا ذلك.

وقد كرر لنا هذا في موضع آخر من الخطبة نفسها حين يقول: "مجتمعين حولي كربيضة الغنم"، السامع للقول يرسم مباشرة في ذهنه مشهدا لعلي رضي الله عنه- وحوله جمع غفير من الناس فربط ربيضة الغنم والناس حوله ليكون صورة خاصة به، تقرب له ما حصل في ذهنه، يقول ابن رشيق: "والشبه والاستعارة جميعا يُخرجان الأغمض إلى الأوضح ويُقربان البعيد"<sup>1</sup>.

وفي قوله: "قد انفرجتم عنه انفراج الرأس"، مثل صورة بصورة أخرى، فنجد تداخلا في هذا التركيب لعدّة صور بلاغية من استعارة وتشبيه وتمثيل، فمثّل ابتعاد من كانوا معه وتخليهم عنه بانفراج الرأس الذي يعني انفلاقه وإن انفلق فلن يلتئم، فهذه صورة قوية عبّر بها عن مدى غضبه منهم وتأسفه وحاول إيصال غضبه بأوضح صورة، واستطاع فعل ذلك، فالقارئ حين قراءته لهذه الصورة يحس بمدى خطورة الموقف الذي كان فيه، فلو قال على سبيل المثال: "قد تركتموني" لن يكون للخطبة الأثر نفسه الذي تركه التركيب الأول، ولن يبلغ رضي الله عنه- مراده في إثارة النفوس وإيقاظ العقول، فاختار عبارة بلغ من غيرها ليرسم صورة أوضح وأدق في ذهن السامعين، "فالتصوير

<sup>1</sup> عبد الحفيظ قط، دراسات في النقد والبلاغة، ص: 128.

بالتشبيه مما استعان به الأدباء في تشكيل الصور الفنية ... للكشف والإظهار وإجلاء المعاني الغامضة بأشباهاها الظاهرة"<sup>1</sup>.

وبعد انصرافه من صفين ألقى خطبة فيها حال الناس قبل البعثة وصفة آل النبي ثم صفة قوم آخرين يقول: "أشهد أن لا إله إلا الله، شهادة ممتحنا إخلاصها معتقدا مصاصها، تتمسك بها أبدا ما أبقانا، ونَدَّخرها لأهاويل ما يلقانا، فإنها عزيمة الإيمان، وفاتحة الإحسان، ومرضاة الرحمان، ومَدْحَرَةُ الشيطان..."<sup>2</sup>، نلاحظ أن علي قام بوصف الشهادة مبينا أثرها وفضلها مستخدما التشبيه، طابق بين الطرفين فكان المشبه هي الشهادة وتعدد المشبه به فأتى مركبا، قال: هي "عزيمة الإيمان وفاتحة الإحسان ومرضاة الرحمان ومدخرة الشيطان"، كلها صور مجردة معنوية حاول فيها علي -كرم الله وجهه- تصوير فضل الشهادة وتقريبها إلى ذهن الناس لتعلق في العقول ولكي يعي الناس مدى أهميتها فتعدد أطراف المشبه به فخلق وزنا وأعطى أهمية كبيرة للطرف الأول وهو المشبه، وهنا نلتمس جمالية وبلاغة الصورة التشبيهية المقدمة لنا.

وفي الخطبة نفسها واصفا آل النبي -صل الله عليه وسلم- يقول: "...هم موضع سرّه ولجأ أمره، وعيبة علمه، وموئل حُكمه، وكهوف كتبه، وجبال دينه"<sup>3</sup>، نجد الفكرة نفسها والأسلوب نفسه وتركيب الصورة التشبيهية، فالمشبه مفرد والمشبه به متعدد، فهو يشبه آل البيت بالمكان

<sup>1</sup> حمد مسعود حيراز، فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين الخطيب-المضامين والخصائص الأسلوبية، دار المدار

الثقافية، مجلد2، ط1، 2009، ص: 237.

<sup>2</sup> الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص: 33، 34.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص: 35.

الذي يحفظ سره ويكتمه، وهم الملاذ وهم وعاء علمه وهم مرجع حكمته...، والمشبه به أيضا صورة بيانية أخرى وهذا خلق نوعا من التداخل البياني الجمالي الموضح لصورة بيانية كاملة أخرى.

ولم يتوقف الإمام علي -كرم الله وجهه- عند هذا الحد فقط بل استخدم هذا التركيب في مواضع أخرى من خطبه، يقول: "...هم أساس الدين، وعماد اليقين، إليهم يفىء الغالي، وبهم يلحق التالي، لهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة..."<sup>1</sup>.

وفي خطبة أخرى وذلك بعد أن تمت البيعة لأبي بكر في السقيفة، وفيها ينهى عن الفتنة ويبين عن خلقه وعلمه، وفيما يخص النهي عن الفتنة يقول: "أفلح من نهض بجناح، أو استسلم فأراح، ماءً آجن، ولقمة يغصُّ بها أكلها ومجنتي الثمرة لغير وقت إيناعها كالزراع بغير أرضه"<sup>2</sup>.

شبه علي رضي الله عنه- صاحب الخلافة لا يعود بفائدة كالذي يأكل أكلا فيغصُّ بها، وكالذي يقطف الثمار قبل موعد قطافها، فلا تصلح للأكل ويكون هذا هدرا وإفسادا للثمار وشبه هذا كله بالذي يزرع بذرا في أرض ليست له، فكل ما تنبتة من زرع وثمار ليس من حقه ولن يكون ملكه رغم أنه صاحب الجهد، فلن يعود بفائدة وكل تعبته ذهب مهب الرياح، فقد شبه عدة صورة بصورة واحدة توازي وتعكس مفهوم الفتنة ونشرها فهي لا تعود عليه إلا بالضرر، فاستخدم التشبيه المركب، ومثل عدة صور بصورة واحدة.

<sup>1</sup> المصدر السابق ، ص:36.

<sup>2</sup> المصدر نفسه ، ص:44.

وفي خطبة أخرى للإمام علي -كرم الله وجهه- وتشتمل على تهذيب الفقراء بالزهد وتأديب الأغنياء بالشفقة، يقول: "أما بعد، فإن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض كقطر المطر إلى كل نفس بما قسم لها من زيادة أو نقصان فإذا رأى أحدكم لأخيه غفيرة في أهل أو مال أو نفس فلا تكونن له فتنة، فإن المرء المسلم ما لم يَغشَ دناءةً يظهر فيخشع لها إذا ذكرت، ويغرى بها لئام الناس كان كالفالج الياسر الذي ينتظر أول فوزه من قداحه، توجب له المغنم، ويُرفع عنه بها المَعْرَم<sup>1</sup>."

شبهه علي -رضي الله عنه- قسم ورزق كل إنسان، بالمطر الذي ينزل من السماء، فكلاهما ينزلان من السماء، فنذكر كلا الطرفين كل على شكل صورة، فقال عن الأولى "الأمر ينزل من السماء إلى الأرض"، والثانية "قطر المطر"، ربط بينهما بأداة تشبيه وهي الكاف، وأشركهما في صفة واحدة وهي النزول من السماء إلى الأرض، فالرزق ينزل على الخلق كل ما كتب الله له، والمطر كذلك ينزل على أي أرض كتب الله نزوله عليها، فيرى أن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وضّح الصورة الأولى بالثانية، محاولاً تقريبها إلى مخيلة السامع مفسّراً الصورة المجردة بالصورة الحسية، فكان هذا تشيهاً مركباً تمثلياً.

وفي موضع آخر حول نفس الموضوع شبه الذين تغريهم الحياة الدنيا والذين يطمعون في ملذاتها كالذي يربح من لعب القمار فيفرح بفوزه الأول ظاناً أن الفوز دائم، ولا يدري أي دوامة هو داخل إليها، فاتبع نفس الأسلوب ومثل صورة بصورة أخرى.

<sup>1</sup> المصدر السابق، ص: 61.

ويقول كذلك في الخطبة نفسها: "إن المال والبنين حرث الدنيا، والعمل الصالح حرث الآخرة..."<sup>1</sup>، فشبه المال والبنين بزرع الدنيا والعمل الصالح بالزرع الذي سوف تجده في الآخرة، لم يترك مسافة بين الطرفين، فحذف الأداة ووجه الشبه فكلاهما شبههما بالحرث أي العمل والجهد والنتاج.

وقد خطب يوماً في الناس يتأفف بهم، وينصح لهم سلوك طريق السداد يقول: "...إذا دعوتكم إلى جهاد عدوكم دارت أعينكم، كأنكم من الموت في غمرة، ومن الذهول في سكرة، يرتج عليكم حوارٍ فتعمهون، فكأن قلوبكم مألوسة، فأنتم لا تعقلون"<sup>2</sup>، وهنا أيضاً شبه صورة بصورة أخرى، فكان هذا تشبيه مركب ومثل الواحدة بالأخرى، يريد بذلك وصف حالهم وتأنيبهم، ليغيروا من حالهم، فنجده دقق في والصف والتمثيل، فقال لهم إنني عندما أكلمكم عن الجهاد في سبيل الله جزعت عيونكم ودارت من شدة الخوف وكأنكم تخوضون شدة الموت وغمرتها عندما تحضركم، ويصيبكم الذهول فتفقدون وعيكم كما يفقده شارب الخمر في سكرته، فلا تستطيعون الكلام والرد وكأن قلوبكم أصابها الجنون فتفقدون عقولكم.

نلاحظ دقة علي رضي الله عنه - في وصفه لحالة الناس والجميل هنا هو تداخل الصور، فنجد عدة تشبيهات متتالية توضح وتفسر حالة واحدة كانت هي الأصل وهي حالة الناس عند دعوتهم من طرف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه - إلى الجهاد، وكان هذا التركيب التشبيهي علبة داخل علبة أخرى.

<sup>1</sup> الصدر السابق، ص: 62.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص: 71.

## ج. التشبيه المقلوب:

يخطب كذلك في الزمان الذي يلي زمانه فيبدع ويبلغ ما أراد، ومما قال: "... فقد نبذ الكتاب حملته، وتناساه حفظته، فالكتاب يومئذ وأهله منفيان طريدان، وصاحبان مصطحبان في طريق واحد لا يؤويهما مؤوٍ، فالكتاب وأهله في ذلك الزمان في الناس وليس فيهم، ومعهم وليس معهم لأن الضلالة لا توافق الهدى، وإن اجتمعوا، فاجتمع القوم على الفرقة، وافترقوا عن الجماعة، كأنهم أئمة الكتاب وليس الكتاب إمامهم"<sup>1</sup>.

يصف علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- زمانا يأتي على الأمة من بعده، لا يتبعون ما أتى في كتاب الله، ويتبعون أهواءهم، فيقلب التشبيه، فيقول: "كأنهم أئمة الكتاب" وفي الأصل أن الناس يجب أن تتبع ما جاء في الكتاب من تعاليم ونفهمه ونفسره على النحو الصحيح الذي أتى به، لا على ما أرادت أنفسهم، فيكيفوا في الشرائع حسب المصالح، فمن المفروض أن يكون القرآن إمامهم لا العكس.

فعلي -كرم الله وجهه- وكأنه يستهزأ بما يفعلون وما يتبعون ويذم ذلك، فقلب الأدوار وهو على وعي أن الحال لا يجب أن يكون على هذا النحو، لذلك يوضح في ما بعد، فيقول: "وليس الكتاب إمامهم" مبينا بهذه الصورة الحالة التي يكون عليها هؤلاء، وهنا تكمن بلاغة التشبيه، في قلب الطرفين، فبرزت فنية في الكلام، فبقلبه خرج عن المؤلف والمعهود عليه، وهذا ما أعطى الصورة جمالية والمعنى بلاغة "فالشبه

<sup>1</sup> الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص: 266.

يتميز بالخروج عن المؤلف بالقصد إلى إحداث الطرفة بالتخييل أو التمثيل<sup>1</sup>.

## 2. التشبيه المفرد:

### أ. التشبيه المجمل:

ويقول رضي الله عنه- في الخطبة التي قالها في ذكره للحج: "جعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته، وإذ عانهم لعزته، واختار من خلقه سماعاً أجابوا إليه دعوته، وصدقوا كلمته، وقفوا مواقف أنبيائه، وتشبهوا بملائكته المطيقين بعرشه، يحرزون الأرباح في متجر عبادته، ويبادرون عنده موعد مغفرته"<sup>2</sup>.

شبه المسلمون وهم يطوفون حول الكعبة بالملائكة المطيقين بعرش الرحمان، فربط هذه المدلولات بتشكيل لغوي بلاغي هو التشبيه المجمل، وذكر جميع عناصر التشبيه من مشبه وهم الناس، ومشبه به وهم الملائكة، والأداة هي "تشبهوا" ما عدا وجه الشبه "الطواف"، فكلا الطرفين اشتركا في عملية الطواف، فالأول حول الكعبة والثاني حول عرش الرحمان، فدون عناصر التشبيه لن تستقيم العلاقة التي تصنع رابطاً بين الطرفين ولن توجد أي جمالية في استخدام اللغة ف"لا بد من وجود عناصر التشابه وبدونها لا يحدث أي اتصال أو علاقة بين الطرفين فعدم الاشتراك بين الشئيين في وجه من الوجوه يمنعك محاولة التشبيه بينهما فيصبح تجاوز العناصر اللغوية غير مبرر وغير مقبول"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> محمد صلاح زكي أبو حميدة، البلاغة والأسلوبية عند السكاكي، ص: 291.

<sup>2</sup> الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص: 33.

<sup>3</sup> محمد صلاح أبو حميد، البلاغة والأسلوبية عند السكاكي، ص: 286.

ب. البليغ:

ومن أجمل ما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه - كذلك ما يلي: "ألا وإن اليوم المضمار وغدا السابق، والسبقة الجنة، والغاية النار"<sup>1</sup>.

نستشف فخامة اللفظ وعلو شأن المعنى، فقد بالغ في التشبيه وأصاب في ذلك على الرغم من وجود غرابة إلا أن الغرابة زادت الكلام جمالا وقدمت معنا عميقا فقال: السبقة الجنة فالسبقة من الاستباق وعادة يكون الاستباق لأمر مرغوب لا عكس ذلك والغاية تكون جيدة أو تكون سيئة، فقد أتقن التنسيق ولم يكن جائزا أن يقرن السبقة مع النار والغاية مع الجنة فهذا يخل وينقص من دقة التشبيه ومصداقيته، وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل على دهاء وفطنة وفصاحة علي بن أبي طالب رضي الله عنه - فأحسن التأليف، وأبدع التصوير "فالتشبيه غرضه الدائب هو عرض الصورة بأفضل ما يمكن أن يتصوره المستمع"<sup>2</sup>.

ومن خطب الجهاد التي قال فيها الإمام علي بن أبي طالب: "أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فمن تركه ألبسه الله ثوب الدّلّ وأشمله البلاء وألزمه الصّغار، وسامه الخسف"<sup>3</sup>، ففي الأسطر السابق ذكرها لون من ألوان البيان وهو التشبيه فقال أن الجهاد باب فهنا تشبيهه بليغ، وذلك ليبليغ الناس قيمة الجهاد في الإسلام، والترغيب فيه فنذكر أنه باب من أبواب الجنة ومدخل إليها، وسبيل إلى التمتع بنعيمها،

<sup>1</sup> الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص: 73.

<sup>2</sup> خلدون سعيد صالح، البنية الجمالية للتشبيه في معلقة امرئ القيس، ص: 445.

<sup>3</sup> الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص: 67.

فطابق بين الطرفين فأصبحا شيئاً واحداً، امتزج الأول بالثاني أصبح جزءاً منهن وهنا تكمن الجمالية اللغوية البلاغية في كلام علي كرم الله وجهه.

يقول في نفس الخطبة: "يا أشباه الرجال وعقول ربّات الحجال إني لوددت لو أخرجني الله من هذه الدنيا وقبضني إلى رحمته ولم أركم ولم أعرفكم، والله قد ملأتم قلبي قيحا وشحنتم صدري غيضا، وجزّعتوني الموت أنفاسا..."<sup>1</sup>، فعلي رضي الله عنه - يعاتب من خالفه فشبههم بأشباه الرجال وبالنساء عقلا، فقصد بربيات الحجال النساء، وذلك لخوفهم من الموت وترددهم في خوض غمار الحرب، فأشركهم مع المرأة في الخوف والضعف وعدم مقدرتها على القتال، واختار هذا ليبين لهم نقصهم لعلّ وعسى يوقد هذا فيهم ما خمد من الشجاعة والإقدام، فبالغ في تشبيهه ولم يضع فاصلا بين الطرفين بأداة التشبيه ولم يحدد صفة معينة بذكر وجه الشبه، وهذا أضاف قوة وجرأة في تعبيره وأسلوبه.

وفي نفس الخطبة يقول في الذين أخذتهم الدنيا: "...فهم فيها تائهون حائرون جاهلون مفتونون، في خير دار، وشر جيران، نومهم سهود وكحلهم دموع، بأرض عالمها ملجم، وجاهلهم مكرم"<sup>2</sup>.

فشبه نوم هؤلاء بالسهود وأن كحلهم هو دموعهم، يريد من هذا أن يخبر عن قلة نومهم وأرقهم وعذابهم وعدم راحتهم، فعبارة كحلهم دموع هي تشبيهه بليغ حيث نجدهم قال أن دموعهم هي نفسها كحلهم فساوى بين الاثنين وهي دليل على كثرة بكائهم ويمكن القول أنها كناية

<sup>1</sup> المصدر السابق، ص: 69.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص: 37.

أيضا فهي تحتل تأويلين، ف جذب السامع ووضح له مقصده وغايته من خلال تركيبه البياني.

### ج. التشبيه المرسل:

يقول علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- في خطبة له عند استنفار الناس إلى الشام بعد فراغه من أمر الخوارج ويتأفف بالناس وينصح لهم بطريق السداد ومنها ما يلي: "... ما أنتم إلا كإبل ضلَّ رُعَاتُهَا، فكلما جُمعت من جانب انتشرت من آخر، لبئس -لعمركم الله- سَعْرُ نار الحرب أنتم تُكادون ولا تكيِّدون .... وأيم الله إنني لا أظنُّ بكم أن لو حمسَ الوغى، واستحرَّ الموت، قد انفجرتم عن ابن أبي طالب انفراج الرَّأس<sup>1</sup>."

شبه علي رضي الله عنه- الناس بالإبل التي تاهت وابتعدت عن راعيها، فيحدد نقطة الاشتراك بين طرفي التشبيه وهي الضلالة، وفي نفس الوقت يترك مسافة بينهما، فقام بصنع نسيج بلاغي هو التشبيه المرسل.

### د. المفصل:

<sup>1</sup> المصدر السابق، ص: 83.

وفي خطبة أخرى له يحذر الناس من إتباع الهوى وطول الأمل في الدنيا، يقول "... ألا وإن الدنيا قد وّلت حذاءً، فلم يبق منها إلا صباية كصباية الإناء اصطَبَّها صابها..."<sup>1</sup>.

شبه ما تبقى من الدنيا بما تبقى من ماء أو لبن في الإناء فما فات أكثر بكثير من ما بقى، ومثل بذاك ليعوي الناس بالأمر ويوصل لهم المعنى بدقة أكثر، فشبه المجرّد بالمحسوس فالإنسان بطبعه يصدق ويفهم أكثر ما كان أمام ناظره.

وقد حدّد ودقّق حين قال: "الدنيا حذاء" أي ماضية سريعة سرعة انسكاب الصُّبابة، فالصَّاب لها لا يأخذ وقتاً طويلاً لذلك، فربط بين الطرفين بهذا التفصيل، يجعل القارئ يرى لوحة فنية متحركة.

<sup>1</sup> المصدر السابق، ص: 80.

حائمه

نختم دراستنا هاته التي كانت موسومة ببلاغة التشبيه في خطب علي بن أبي طالب - رضي الله عنه- والتي عمنا فيها على استخراج التشابه في خطب علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه- وإظهار بلاغة كل نوع وجدناه في إطار السياق الموضوع فيه، بجملة من النتائج توصلنا إليها في الأخير، وكانت كما يلي:

• من خلال تتبعي لتطور فن الخطابة على مر الأزمنة، بداية من الجاهلية، وجدت أن تغير الحياة الاجتماعية والسياسية يؤثر وبشكل مباشر على الساحة الأدبية في مضمونها وهيئتها، فخطب الجاهلية تختلف في مواضيعها وشكلها عن الخطبة في صدر الإسلام وبعده.

• برع كثير من الخطباء في هذا المجال، إلى درجة وصلوا فيها حدود الإبداع، حيث كانت البلاغة منهجهم، والفصاحة مذهبهم، فأبداع كل واحد منهم مقاله، مستخدما ما أفاضت به قريحته من بيان، منافسا الآخر بتلاعبه بالكلمات، محاولا تمييز وتجميل معناها ومبناها، بغية الإقناع وإظهار حجته، فكانت بذلك البلاغة كلامهم، والخطابة فنهم الأول ومرآتهم العاكسة لعقيدتهم.

• بعد الدراسة البلاغية في خطب علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - نستشف أن معظم كلام خطبه بيان، وأكثر بيانه تشبيه، وذلك لأنه يريد من خطبه الإيضاح والتبيان، والإرشاد والاستدلال لقيم الدين الإسلامي ومبادئه العلية، وهذا لا يكون إلا بالتمثيل، لذلك جل تشبيهاته تشبيهات تمثيلية، فكان يمثل ذلك بذاك ويشبه

صورة بأخرى تكون أقرب للسامع معلومة لديه، فمثل الصورة غير المعروفة بالمعروفة، لتقريب صورة إلى ذهن المستمع.

● والملاحظ أيضا أن عليا - كرم الله وجهه - كان فطنا ذكيا، وذلك لأنه لا يترك مجالا لذهن المستمع ليتشتت بفكره ويميل، فيعمله، فكان التشبيه الضمني من بين التشبيهات الأكثر ورودا في خطبه، فهو ظاهر في الكلام مضمرا عن المتلقي يكون فهمه من السياق، يستوجب المتابعة والتركيز والتحقيق.

● والمستشف أيضا، استخدامه للتشبيه البليغ في العديد من المرات، وذلك لإضفاء قوة في المعنى والسياق، وإعطاء هيبة لهما، ولتقديم صورة حقيقية للمشبه رغم أن الطرفين لا يمكن لهما أن يكونا شيئا واحدا ومتطابقين في جميع الصفات، وهنا تتضح جمالية التشبيه البليغ في إعطاء طابع جمالي للصورة.

● أما عن الأنواع الأخرى فجاءت متقاربة، غير كثيرة الذكر كالأنواع السابق ذكرها.

● بعد الدراسة البلاغية لجمالية التشبيه في خطب علي - كرم الله وجهه - أستنتج أن بلاغة التشبيه وجماليته تتجسد في الوظيفة التي يقدمها في السياق الموضوع فيه مهما كان نوعه. ومن هنا نستطيع الإجابة عن إشكاليتنا المطروحة، فنقول: أن التشبيه ساهم في تشكيل الإطار العام لخطب - علي رضي الله عنه -، وكانت بلاغته مساهمة في تشكيل الدلالة العامة لها. والإجابة عن هذه الإشكالية يفتح مجالا آخر لطرح إشكالية أخرى لدراسة أخرى، هي: هل التشبيه وحده من ساهم في تحديد وتشكيل الإطار العام لخطب

علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أم هناك أنواع أخرى من  
البيان ساهمت في هذا؟

وفي الختام، نرجوا من الله التوفيق والسداد والهداية، وزيادة في  
العلم وطلبه.

مَطْرَق

مولد الإمام علي -كرم الله وجهه- وسيرته.

### 1. نسبه:

اسمه علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، ولد رضي الله عنه في السنة الثانية والثلاثين من ميلاد رسول الله -ﷺ-، فهو من أبوين هاشميين، وهو من كبار أهل قریش وأكرمهم، وهو ابن عم رسول الله -ﷺ- فأبواه شقيقان<sup>1</sup>.

عاش في بيت ابن عمه محمد بن عبد الله -رسول الله- وسبب ذلك أن أزمة أصابت أهل مكة فكادت أن تهلكهم، وكان أبو طالب كثير العيال، فقير الحال، فأراد العباس -أخوه- وكان ميسور الحال أن يخفف عنه فعرض على محمد بن عبد الله -ﷺ- أن يساعده وذلك بأخذ كل واحد منها ولدا من أولاده فيضمه إليه، فكان نصيب علي -كرم الله وجهه- أن يعيش في كنف ورعاية رسول الله -ﷺ-<sup>2</sup>.

كان علي -رضي الله عنه- دون سن البلوغ حين بُعث عليه الصلاة والسلام، فعمره عشر سنين على الأرجح آن ذاك، فدعاه رسول الله -ﷺ- إلى الدين الجديد فأسلم، فكان أول الناس إسلاما بعد أم المؤمنين خديجة بنت خويلد، وقد قيل أن رسول الله -ﷺ- بعث يوم الاثنين وصلى علي يوم الثلاثاء، وقد ثبت أنه لم يدنس بعبادة الأوثان وأرجاس الجاهلية<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، دار الكتب العلمية، بيروت، ج7، ط1، 2005م، ص:215.

<sup>2</sup> ينظر: المصدر نفسه، ص: 215.

<sup>3</sup> ينظر: المصدر السابق، ص:216.

وقد شهد مع رسول الله -ﷺ- المشاهد كلها ابتداء من غزوة بدر وأحد، إلا غزوة تبوك فإن رسول الله -ﷺ- أوصاه على أهله، وقد أبلى -رضي الله عنه- في كل الغزوات بلاءا حسنا، فكان من من ثبت يوم أحد عند انهزام المسلمين وقد أعطاه عليه الصلاة والسلام اللواء في مواطن كثيرة بيده الشريفة، وآخاه -عليه الصلاة والسلام- مرتين مرة قبل الهجرة عندما آخى بين المسلمين، وبعد الهجرة حين آخى بين المهاجرين والأنصار، وقال له في كل واحدة أنت أخي في الدنيا والآخرة، وهو من العشرة المبشرين بالجنة، ومن كُتِّب الوحي، زوجه رسول الله -ﷺ- بابنته فاطمة -رضي الله عنها- فأنجبت له الحسن والحسين، وهما سيदा شباب أهل الجنة، كما أنجبت له زينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى<sup>1</sup>.

وكان يكنى بأبي الحسن، وكناه رسول الله -ﷺ- بابي تراب، وذلك أنه أتى رسول الله -ﷺ- بيت فاطمة فلم يجد عليا في البيت فقال: أين ابن عمك؟ فقالت كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج فلم يقل عندي ن فخرج فأخبروه أنه في المسجد راقدا، فجاءه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو مضطجع، قد سقط رداؤه عن شقه فأصابه تراب، فجعل رسول الله -ﷺ- يمسحه ويقول: قم أبا تراب<sup>2</sup>.

## 2. زوجاته:

تزوج علي -كرم الله وجهه- بفاطمة سيدة نساء العالمين إلا مريم بنت عمران، وقد منعه رسول الله -ﷺ- أن يتزوج بأخرى مادامت عنده معللا ذلك بقوله: "يُرِيْبُنِي مَا يُرِيْبُهَا وَيُؤْذِنِي مَا يُؤْذِنُهَا"، وقد التزم كرم

<sup>1</sup> ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، منشورات مؤسسة النصر، طهران، ج1، دط، 1322هـ، ص:14.

<sup>2</sup> ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار صادر، ج3، ط1، 1328هـ، ص:54،55.

الله وجهه بذلك، ولم يضرها بزوجة حتى ماتت -رحمها الله- بعد وفاة النبي -ﷺ- بستة أشهر<sup>1</sup>.

بعد وفاتها تزوج بنساء كثيرات منهن خولة بنت جعفر الحنيفة، وليلى بنت مسعود بن خالد، وأم البنين بنت حزام بن خالد، أسماء بنت عميس الخثعمية، والصهباء وهي أم حبيب بنت ربيعة وأمامة بنت أبي العاص بن الربيع، وأم سعيد بنت عروة بن مسعود، ومحياة بنت امرئ القيس بن عدي، وقد أنجب منهن أبناء وبنات من أشهرهم، محمد بن الحنيفة، أو محمد الأكبر، ومنهم العباس، وجعفر وعبد الله وعثمان وعبيد الله، وأبو بكر، ومحمد الأصغر ويحيى وعمر ورقية، ومحمد الأوسط وأم الحسن ورملة الكبرى، أم كلثوم الصغرى، أم هاني، وميمونة، وزينب الصغر، وفاطمة وأمامة وخديجة، وأم الكرام، وأم سلمة، ونفيسة، وجمانة، والذي بقى من نسله الحسن والحسين -رضي الله عنهما- ومحمد الأكبر والعباس وعمر<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ص: 217.

<sup>2</sup> ينظر: المصدر نفسه، ص: 366.

### 3. صفاته:

كان كرم الله وجهه أميل إلى القصر، أسمر اللون، عريض اللحية أبيضها لا يخضبها، كثير شعر الصدر، أصلع الرأس إلا بقايا شعيرات، وكان ضخم عضلة الذراع ضخم عضلة الساق، ضخم البطن، عظيم العينين، حسن الوجه، كثير التبسم، إذا مشى إلى الحرب هرول، ما صارع أحدا إلا صرعه، فكان منصورا، فهو الذي قتل عمرو بن ود العامري يوم الخندق، والذي عرف بفارس الجزيرة العربية، وكان إذا أمسك بذراع أحد أمسك نفسه، فلا يستطيع أن يتنفس<sup>1</sup>.

### 4. علمه:

شهد لعليّ ابن أبي طالب -رضي الله عنه- كثير من علماء الأمة قديما وحديثا أنه ذو علم غزير، وعقل كبير، وفهم عميق، قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- "أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن"، وكان رضي الله عنه يقول: سلوني سلوني، وسلوني عن كتاب الله تعالى، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أنزلت بليل أم بنهار<sup>2</sup>.

ومن فقهه -رضي الله عنه- وفهمه للقرآن الكريم أن الحمل عند المرأة أقله ستة أشهر، فلو أنجبت المرأة بعد ستة أشهر من زواجها لعد ولدا شرعيا أخذا من قوله تعالى: [وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا]<sup>3</sup>، ومن قوله تعالى: [وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ]<sup>4</sup>، فيكون الفرق مدة الحمل وهي ستة أشهر، إذ العامان أربعة وعشرين شهرا، وقضي بهذا لصالح امرأة اتهمها

<sup>1</sup> ينظر: المصدر السابق، ص: 216.

<sup>2</sup> ينظر: ابن كثير، الإصابة في تمييز الصحابة، ص: 509.

<sup>3</sup> الأحقاف، 15.

<sup>4</sup> لقمان، 14.

زوجها بالزنا، فجاء بها إلى عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وهو يومئذ أمير المؤمنين، فقال الرجل: إن هذه قد ولدت بعد ستة أشهر، فأراد أن يقيم عليها الحد فقال علي: مهلا يا أمير المؤمنين، واستشهد بالآيتين الكريمتين وعندها عمر: لولا علي لهلك عمر<sup>1</sup>.

فكان علي -رضي الله عنه- فصيح اللسان بليغ المقال ونابغة لا تصعب عليه المعضلة، فَطِنًا حَذَقًا.

<sup>1</sup> ينظر: ابن عبد البر، الإستيعاب في معرفة الأصحاب، ص: 39.

فَلِلَّهِ الْمَصْرُوفُ وَاللَّيْلُ

## قائمة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم رواية ورش عن نافع.

### المصادر

2. ابن سعد، الطبقات الكبرى، منشورات مؤسسة النصر، طهران، ج1، ط1، 1322هـ.
3. ابن كثير، البداية والنهاية، دار الكتب العلمية، بيروت، ج7، ط1، 2005م.
4. ابن وهب الكاتب، البرهان في وجود البيان، تح: جفنى محمد شرف، مكتبة الشباب مطبعة الرسالة، دط، دت.
5. أبو العباس المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وسيد شحاتة، دار النهضة، مصر، القاهرة، دط، دت.
6. أبو الوليد بن رشد، تلخيص الخطابة، تحق: عبد الرحمن بدوي، مطبعة الكويت، ط1، 1959م.
7. أبو هلال العسكري، الصناعتين تحق: محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، دط، 1952.
8. الجرجاني، التعريفات، تحق: محمد الصديق المشاوي، دار الفضيلة، دط، دت.
9. الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م.
10. الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحق: فارس الحسون، مركز الأبحاث العقائدية، إيران، ط1، 1419هـ.
11. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، صحّحه وعلّق عليه: محمد رشيد رضا، دار المطبوعات العربية، بيروت، دط، دت.
12. قدامة بن جعفر، نقد النثر، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، 1980.
13. محمد الخضر حسين، الخطابة عند العرب، تحق: ياسر بن حامد، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، 1433هـ، ط7. المجلات
14. محمد الطاهر بن عاشور، أصول الإنشاء في الخطابة، تحق: ياسر بن حامد المطيري، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1434هـ.

## المراجع

15. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي: العصر الإسلامي، ج2، دار المعارف، ط7، مصر، دت.
16. عبد الحفيظ القط، دراسات في النقد والبلاغة، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1980م
17. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي: العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، ج3، ط8، دت.
18. شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، دت، ط9.
19. عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، دط، 1985.
20. محمد أحمد قاسم ومحي الدين ديب، علوم البلاغة، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ط1، 2003م.
21. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، ج2، ط7، دت.
22. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي: العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، ج3، ط8، دت.
23. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي: العصر العباسي الثاني، دار المعارف، القاهرة، ج4، ط2، دت
24. ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار صادر، ج3، ط1، 1328هـ.
25. حمد مسعود حيراز، فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين الخطيب-المضامين والخصائص الأسلوبية، دار المدار الثقافية، مجلد2، ط1، 2009.
26. ديل كارينجي، فن الخطابة، الوسام للخدمات المطبعية، عمان، ط1، 2001.
27. حسين عبد العالي اللهيبي، الخطابة العربية في العصر العباسي الأول.
28. محمد صلاح زكي أبو حميدة، البلاغة والأسلوبية عند السكاكي، جامعة الأزهر، غزة، دط، 2012م.
29. أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة: العصر الجاهلي والعصر الإسلامي، مكتبة مصطفى ابابي الحلبي، ط1، 1963.

## المعجم

30. الفيروز أبادي، قاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط8، 2005م.
31. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مج 13، دت، د ط.
32. أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي القديم، مكتبة لبنان ناشرون ، ط1، 2001م.

## المذكرات

33. محمد احميد، الخطاب الإسلامي عند الخلفاء الراشدين، جامعة عبد الملك السعدي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان.

34. مهندس محسن عبد الرضا العقابي، رسالة ماجستير: الجهود البلاغية لعلي بن خلف الكاتب المتوفي ما بعد 437هـ في كتابه مواد البيان، إشراف: حسن يحي محمد رضا الخفاجي، جامعة المستنصرية، 2003م.

## المجلات

35. خلدون سعيد صبح، البنية الجمالية للتشبيه في معلقة امرئ القيس، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج 84، ج2.

36. حسين عبد العالي اللهيبي، الخطابة العربية في العصر العباسي الأول، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العددان: 3\_ 4، مج8، 2007.

37. نسرين طاهر مالك، النثر الجاهلي والإسلامي والأموي: دراسة تحليلية، مجلة ايكتا اسلاميكا، مج2، عدد1، 2014م.

## المخلص:

شملت هذه الدراسة الموسومة "بلاغة التشبيه في خطب علي -رضي الله عنه" مفهوما للتشبيه وأنواعه وجماليته في السياق، ثم توجه البحث إلى الخطب مع ذكر لمفهومها وتطورها التاريخي بداية من العصر الجاهلي إلى غاية العصر العباسي، وأهم الرواد مع تقسيمه حسب العصور المذكورة سابقا مرفوقة بأهم وأشهر خطبهم.

ثم اتسمت الدراسة في الأخير بطابع تطبيقي، إذ اتخذت من خطب علي - رضي الله عنه- أنموذجا لاستخراج بلاغة التشبيه وجماليته وشرحها حسب السياق التي وضعت فيه، معتمدين في ذلك دراسة بلاغية فنية.

## Sammary

The study was accompanied by the eloquence of the analogy in the speeches of Ali -may Allah be pleased with him- a concept of analogy, its types and its beauty in the context. The research then went to speeches with a mention of its concept and historical development from the pre-Abbasid era to the Abbasid era and the most important pioneers with its division according to the ages mentioned above, Their sermons.

Then the study was characterized in the latter by an applied nature, as it was taken from the speeches -may Allah be pleased with him- a model to extract the eloquence of analogy and explained according to the context in which it was placed, relying on the study of technical rhetoric.